دولة سيدات

في مملكة نساء

تأليف

نقولا الحداد

مطبعة المقتطف والمقطم

١٩٤٩

892.78
Ha2818d
c.1

دولة سيدات

في مملكة نساء

تأليف

فولا الحداد

79367

مطبعة المقتطف والمقطم

١٩٤٩

Gift - Author's cat. July 24, 52

دولة سيدات

في

مملكة نساء

أما سمعتَ أيها القارىء بالأمازونيات ؟ أو ما عرفت شيئاً عن تاريخهنّ ؟ أو قرأت أساطيرهنّ ؟ . فقد حدّث هيرودوتس المؤرخ اليوناني المشهور عن أصلهنّ وفصلهنّ وعرفنا منه انهن قبيلة من الأناث المحاربات كانت تقطن في بنطس في آسيا الصغرى على شاطىء البحر الأسود . وكانت ذات مملكة مستقلة تحت سيادة ملكة من أصل شريف منها . وكانت غاصمتها تاميسيرا على ضفة نهر ترمودون حسب نص هيرودوتس .

وكانت الأمازونيات يزحفن من تلك المملكة لمحاربة أهل سيتيا وتراقيا وشواطىء آسيا الصغرى وبحر ايجه . وكنّ أحياناً يتطرقنَ الى سوريا وبلاد العرب حتى مصر .

ويقال في أصلهنّ أنهنّ قدمنَ إلى مدينة ترمودون من بالوس ومايوتوس على بحر أزوف (قزوين) ويقال أنهنّ حاربنَ مع الاسكندر الكبير

ولم يكنّ يؤذنّ لرجل أن يقيم في مملكتهنّ يوماً واحداً . وإنما لكيلا ينقرضنَ كنّ يزرنَ مدة أسبوع في السنة قبيلة الجاريجاريين في مملكة جارجاريا المجاورة لبنطس مملكتهنّ . فالذكور الذين يلدنهم بعد هذه الزيارة يقتلنهم أو يرسلنهم إلى آبائهم إذا كنّ يعرفنهم . وأما الإناث فيحتفظنَ بهنّ وتربيهنّ أمهاتهنّ . ويعلمنهنّ الزراعة والصيد وفن الحرب (بحسب قول المؤرخ سترابو) . راجع دائرة المعارف البريطانية .

ورد في الياذة هوميروس إنهنّ غزونَ ليسيا فهزمهنّ بيليريفون . وهاجمنَ الفريجانيس الذين انتصر لهم بريام حين كان لا يزال غلاماً على الرغم من أنهنّ أخذنَ جانبه ضد الاغريق تحت قيادة ملكتهنّ بتسيليا التي قتلها أخيل (أو أشيل) .

كنّ يعبدنَ اريس إلـه الحرب وإلـه تراقيا والإلهة ارطاميس إلهة النور العذراء والإله أجكس إله القوة . وكانت أزياؤهنّ وعاداتهنّ وتقاليدهنّ يونانية تقريباً .

وسترى في هذه القصة الغريبة الحوادث العجيبة التقاليد ان القوانين والشرائع التي

تناقض الطبيعة البشرية لا يمكن أن تطاع طاعة تامة بصدق واخلاص، ولا أن تنفّذ إلاّ بالإكراه. فلا يمكن أن تقوى الآلهة على الإلـه كيوبيدون (إلـه الحب) لأن هذا الإلـه يجاري قوة الله الواحد الأحد الذي قال: «أنموا وأكثروا وأملأوا الأرض».

وسترى أيضاً أن البشر في العصر الميثولوجي كانوا عن غير قصد ينفذون نبوءات الكهنة أو الكاهنات اللواتي كنّ يزعمن أنهنّ نبيّات بوحي من الآلهة. يعني أن الناس كانوا متى سمعوا بنص نبوءة يتوجهون إلى تحقيقها من تلقاء أنفسهم، وهم يعتقدون أنهم يفعلون ذلك بدافع من الآلهة بقوة حافزة في داخلهم، كأنّ ما يفعلونه قضاء إلـهي مبرم لا بدّ من حدوثه.

وعند التحقيق في حوادث النبوءات كان المحققون يستنتجون ان تلك التكهنات النبوية كانت مكايد ينصبها الكهنة والكاهنات والأشخاص الذين يتصلون بهم وبالهيكل كهيكل دلفي الذي اشتهر بنبوءاته التي كانت تتحقق بعض التحقيق لأنها كانت مبهمة. وكان المقضي عليهم بمقتضاها يساعدون على تحقيقها منساقين بتأثيرها في أنفسهم.

وسترى في سياق هذه الرواية العجب العجاب من دهاء الكهنة أو الكاهنات ومقدرتهم في التأثير على الأشخاص والجموع فاقرأ: —

الفصل الاول

في الهيكل

كان الفصل آخر الصيف وكان الوقت عيد الحصاد تحتفل فيه الكاهنات ثم سيدات الدولة على رأسهنّ الملكة وبقية الأمة وراءهنّ في هيكل أجكس اله القوة وأرس اله الحرب. وهو هيكل فخم رحيب ووراءه دير الراهبات متصل به. ومن الدير يدخلن من باب خلفي الى قدس أقداس الهيكل.

وفي مقدم الرحبة مذبح للمحرقات وفيه موقد. وفي جهات الهيكل الأربع أعمدة ضخمة مزخرفة بنقوش بديعة. وفي زاويتي الرحبة قاعدتان مرتفعتان لتمثالي الالهين اجكس وأرس

وما أن سمع الحشد الموسيقى الرخيمة من وراء قدس الأقداس حتى ارتفع الستار الذي يحجب قدس الأقداس عنهم وبدت رئيسة الكاهنات ووقفت في الصدر والمذبح أمامها وتوالت وراءها الكاهنات صفين الى جانبي الهيكل ثم شرعن يرقصن رقصة العيد الوقورة

ثم دخلت الملكة من يمين الرحبة تتبعها بطانتها المؤلفة من أربع وصيفات. ثم دخلت

من شمال الرحبة هيئة الحكومة المؤلفة من ست وزيرات . ووقفن مقابل صف الملكة لدى المذبح والجمع قدام المذبح .

وكانت رئيسة الكاهنات تلبس جلباباً من الدمقس طويلاً الى ما فوق القدمين قدر عشر سنتيمترات بنفسجي اللون واسع الأكمام ذا منطقة حمراء . وعنقها مطوق بطوق أحمر وعلى رأسها قلنسوة بنفسجية تتدلى منها قدتان حمراوان من الأطلس الفاخر ، تتدليان على الخدين حتى العنق .

وفي أيسر منطقتها خنجر صغير ذهبي القبضة والغمد مرصع بالجواهر ، وفي يدها صولجان ذو شعبتين بحربتين . وفي قدميها حذاء بسيور . وأما سائر الكاهنات فكنّ يلبسن كالرئيسة بيد أن لون الجلباب أبيض . وماهو أحمر في زي الرئيسة هو أسود في زي الكاهنات ، ولهنّ خناجر صغيرة أنيقة .

أما ثوب الملكة فكان قصيراً الى وسط الساق تحت الركبة بخمسة عشر سنتيمتراً ولونه أرجواني ، وعلى رأسها اكليل من ورق الغار الصناعي . وفي منطقتها الصفراء الذهبية خنجر ذهبي مرصع وفي يدها قوس وسهم جميلان .

وكانت أثواب حاشيتها كثوبها ، وانما كان لونها ورديًّا فاتحاً . وليس معهنّ خناجر ولا قسي ولا سهام . وعلى رؤوسهنّ عصائب مزركشة .

وكانت رئيسة الحكومة تلبس كالملكة ، وانما اللون أزرق فاتح . وفي جبهات العصابات ورقتا غار أو ورقة واحدة حسب الرتبة . وفي أقدامهنّ شبه صنادل .

وأما سائر سيدات الأمة فكانت أثوابهنّ بيضاً .

***

ولما انتظم الجمع وانتهى رقص الكاهنات رنم الجمع كله هذه الترنيمة بلحن شجوي يشعر بجلال المقام . والراجح أن النغم كان نهوندا أو عجماً .

(١) الترنيمة

فيك يا عيد الحصاد رمز خيرات البلاد
نجتني اللذّات مما قد زرعنا من جهاد
كم دفنا الحَبَّ ميتاً نال في الترب الحياة
من دفين البزر جاء حيوان ونبات

قوّة الأحياء فيضٌ فاض من قلب أجكس
وبه في الحرب نلنا النصر من كف أرس
قوّة قد حرّرتنا من خنوع للرجال
فتمتعنا بخير الـ زرع والضرع الحلال

وكانت رئيسة الراهبات والملكة تنحنيان نحو المذبح كلما انتهى دور من الترنيمة ، فتحذو جميع الهيئات حذوهما .

وبعد انتهاء الترتيل . برزت رئيسة الكاهنات من صدر قدس الأقداس نحو متر الى الرحبة وأشارت بيدها إشارة إسكات فصمت الجمع صمتاً تامّاً لسماع نطق الهيكل من فم الكاهنة العظمى . ثم نطقت الكاهنة التي إلى يمين الكاهنة العظمى (الرئيسة) بصوت جهوري بكل تؤدة .

« سمعاً وإصغاءً لنطق الهيكل المقدس لأمة أجكس إلـه القوّة وارس إلـه الحرب . نبوءة العام الجديد لأمّة الأمازونيات العظيمة التي دوّخت الأقطار وخاضت البحار . أمّة الإناث التي نفضت عن عنقها نير الذكور . أمة المحاربات التي حطمت قوس كيوبد إلـه الحب وتقلدت خنجر أجكس إلـه القوّة وأحرزت قوس أرس إلـه الحرب ونالت إكليل الإستقلال المطلق .

« سمعاً وإصغاءً لنطق الهيكل المقدس . واستيعاباً لمعناه » .

وهنا تقدّمت رئيسة الكاهنات خطوتين الى الأمام ونطقت بكل تأنٍ بصوت جهوري

« الويل إذا تخطى جسر نهر ترمدون قمر ساطع حين يكمد القمر اللاّمع » .

ثم سكتت نحو نصف دقيقة وقالت : « والويل ثم الويل إذا انتصر كيوبد إلـه الحب على أجكس وأرس حين يقترن القمران » .

وفيما رئيسة الكاهنات تتلو هذه النبوءة كانت الملكة والحاشية ورئيسة الحكومة ينتفضن فرقاً . ولما انتهى نطق الهيكل حدث لغط في الجمع وكنّ يتهامسن : — « الويل الويل، لماذا الويل » .

وقالت أمازونيا رئيسة الحكومة بصوت مسموع : « ما ذا ارتُكب في مملكة بنطس الزاهرة المجيدة من الآثام حتى تُنذر بالويل والثبور ؟ » .

وفي أثناء ذلك انحنت رئيسة الكاهنات ٣ انحناءات ببطء لدى المذبح ثم عادت الى قدس الأقداس وخرجت من الباب الخلفي إلى الدير وحذت سائر الكاهنات حذوها .

وقبل أن تتوارى الكاهنة الأخيرة أسرعت أوجستينا سيدة القضاء ، أي وزيرته ، وأمسكت بثوبها وهمست في أذنها قائلة .

« بحق الإلهين اجكس وارس يا سيدتي الكاهنة ملفينا استوضحي الهيكل المقدس عن بواعث هذه النبوءة الرهيبة »

على أن ملفينا أفلتت من يدها مسرعة لتلحق موكب الراهبات من غير أن يبدو عليها استياء كأنها تعدها وعداً صامتاً .

أما الملكة فكانت في شديد الاضطراب وقد أمرت أن يخرج الجمع كله حالاً . فجعلت النسوة يخرجن . ثم قالت الملكة للحاشية والوزيرات بصوت مهدج : إن الهيكل المقدس ينذر مملكة بنطس الظافرة بويل رهيب . ويلاه أية جريمة فظيعة ارتكبت هنا فأغضبت الإلهين العظيمين أجكس وارس .

فقالت أوجستينا سيدة القضاء : لعلّ في الخفاء يا مولاتي سعاية لتولية كيوبيد إله الحب منصب الألوهية في بنطس إلى جانب الإلهين العظيمين .

فقالت الملكة بنزق : أبداً . لا يمكن أن تعيش يدٌ تنصب تمثالاً لكيوبد إله الحب في هيكل اجكس وأرس ، بل تعيش اليد التي تحطم تمثالاً لكيوبد .

فقالت أمازونيا رئيسة الحكومة : ان امتزاج الزيت بالماء لأيسر جداً من وقوف كيوبد وأجكس أو أرس في هيكل واحد .

فقالت أوجستينا سيدة القضاء : ألا يخشى أن يبنى في الخفاء هيكل لكيوبد ويعبد فيه سراً ؟ .

فصاحت الملكة بنزق : الويل لمن تُدخل هذه البدعة إلى بنطس .

فقالت أوجستينا : إذن يجب أن تضاف إلى دستور الدولة مادة تقيد الحرية الدينية . والاّ فلا عقاب بلا قانون .

فقالت أمازونيا : هذا التقييد مفهوم من مضمون الدستور نفسه

— ماذا في الدستور يحرم عبادة كيوبد اله الحب ؟

إن الأمة الأمازونية أخذت حريتها بالقوة لا بدلال الغرام . ولذلك شادت هيكلاً لأجكس اله القوة . لأن أجكس يمنح القوة ، وكيوبد اله الحب يبددها في ساحة العشق . ولذلك تحرم عبادته في بنطس

فقالت فلومينا وهي مديرة الشرطة والأمن : ويحكنّ ! ان الدماء التي أراقتها جداتنا في سبيل تحطيم نير العبودية للرجال ثمناً للحرية والاستقلال أعاضنا عنها أجكس قوة

ونشاطاً وظفراً في الحروب . فاذا يمنحنا كيوبد إذا بذلنا قوانا على مذبح عبادته :

فقالت أمازونيا : لا يمنحنا الاّ عبودية للرجال وذلاً في صحبتهم وهواناً في مقارنتهم.

فقالت فلومينا سيدة الأمن ، أجل ما انتصرت أمة في حرب إلاّ بتأليه أجكس . وما انكسرت أمة في قتال إلاّ منذ ألهت كيوبد .

فقالت الملكة : أي وحق آرس ما رمى كيوبد سهماً على بطل إلاّ صرعه . وما رمى أجكس سهماً على صعلوك إلاّ جعله بطلاً . وعندنا الشاهد على ذلك انطونيوس كليوبترا واكتافيوس خصمه .

فقالت اوجستينا : لذلك أقول يجب أن يكون القانون صريحاً في تحريم عبادة كيوبد.

فاستشاطت الملكة قائلة . من هي المرأة التي تجسر أن تقيم تمثالاً لكيوبد في بيتها أو تبني له هيكلاً في بنطس .

فقالت فلومينا : هي المرأة الخائنة

فقالت أمازونيا : هل في بنطس امرأة تجرأ على ارتكاب الخيانة العظمى ؟

فقالت الملكة بصوت متهدج : كلاّ البتة ان سيف النقمة مصلت فوق كل عنق يشرئب الى هيكل كيوبد . ان هذا الهيكل في مملكة جاريجاريا لا في بنطس جارتها. وفي جاريجاريا فقط نقدس كيوبد ونعبده أسبوعاً واحداً فقط لتجديد النسل . وأما في بنطس فلن يقام معبد لكيوبد لكي لا يبنى ضريح للحرية ويُنصب ضريح للاستقلال. هذا هو دستور الدولة الأمازونية الصريح. وكل امرأة في بنطس تعرف هذا القانون بالبديهة ولا تجرأ ان تخالفه .

فقالت أمازونيا رئيسة الوزارة : لعلّ بعض سيدات الدولة لم يعلمن حتى الآن أن العداء الذي نشأ أخيراً بين حكومتنا وملك جاريجاريا كان سببه أن ذلك الملك كان يحاول ادخال عبادة كيوبد الى بنطس لكي يمهد السبيل الى تبادل الصلات بين القطرين . ولا يخفى عليكنّ ما في ذلك من خطر على استقلالنا واحتمال وقوعنا تحت نير العبودية للرجال، كما كانت جدات جداتنا من زمان قبل التحرير. وما نطق الهيكل اليوم الاّ نذير بهذا الخطر . فحذار من تسهيل السبيل لعبادة كيوبد وتفشي الحب والغرام في قلوب الأمة .

فقالت الملكة : أجل ان نطق الهيكل اليوم انذار مروّع يحتاج الى درس وتفسير والى تقرير الخطة التي تتدارك ويلاته — فالى ديوان الدولة حيث ينعقد المجلس الرسمي . يجب أن تكون الجلسة سرية . وحذار أن تتسرّب كلمة من نطق الهيكل ونتيجة البحث فيه الى الأمة لئلا تتضارب الأقاويل والأراجيف والتخرصات والاشاعات التي تحدث اضطراباً وقلقاً وقد تفضي الى فوضى . فالى ديوان الدولة أيتها السيدات

وفيما هنّ يخرجن كانت فلومينا ضابطة الأمن تقول . ان ما تحاذرنَ قد حدث . فما خرجت الأمة من الهيكل الاّ والنسوة يتقوّلنَ

— ٢ —

وما ان خرجت سيدات الدولة حتى ظهرت رئيسة الكاهنات في رحبة الهيكل والى جانبها ملفينا الكاهنة المحبوبة عند الرئيسة والتي تعتبر كأنها كاتبة سرها. وهي التي أمسكت بها آنفاً أوجستينا وطلبت منها الاستيضاح عن سبب انذار الهيكل وكانت ملفينا تقول : يظهر يا مولاتي ان بنطس المجيدة قد انغمست في حمأة الجرائم حتى كان نطق الهيكل اليوم مروّعاً

فقالت الرئيسة بصوتٍ أجش ضخم كعادتها : أجل الويل لمملكة بنطس من عبادة كيوبد إلـه الحب . لأن أجكس إلـه القوّة غيور لا يطيق شريكاً له في ألوهيته وأرس مستمد القوة منه في الحروب . فإذا سيطر كيوبد على بنطس غضب الإلـهان. واستردّا قوّتهما منا وذلت الدولة ووقعت تحت نير العبودية للرجال من جميع القبائل. فالويل للفاجرات الويل للمنغمسات في الشهوات .

— ويحهنّ . وهل لكيوبد جرأة على أن يغزو مملكة نبطس وهي في حماية الإلـهين العظيمين اجكس وإرس ؟

— ان كيوبد يسرح ويمرح الآن خلسة في بنطس فالويل للأمازونيات إذا استوى كيوبد في هيكل . فلسوف يتبوأ عرش بنطس قمر يكسف الشمس .

— واويلتاه . واسوء المصير

— إنّ الهيكل لمنتقم شر نقمة . وستعلم اللواتي يرحبنَ بكيوبد أي منقلب ينقلبنَ عليك يا ملفينا إن تراقبي الدار والأديار والأسواق والأسوار . فإني أحسب حساباً للغزاة السريين الأشرار .

— ٣ —

وكانت اوجستينا كامنة في الهيكل تسمع الحديث ولا تراها الرئيسة ولا ملفينا . فما أن خرجت الرئيسة حتى نادت همساً : ملفينا ملفينا ملفينا .

فارتدّت ملفينا الى الوراء متخلفة عن الرئيسة وقالت: ليس غير ما سمعت من فم الرئيسة .

— أليس في وسعك تسقط الأخبار السرية عما حدث في بنطس مما أفضى الى هذا النطق الرهيب ؟

— ليس في وسعي اليوم . ولكن المفهوم أن النطق جرى بسبب أن الحب يلعب

أدواراً سرية في بنطس مع انه محرَّم على الأمازونيات كل التحريم الاَّ في جاريجاريا في أسبوع واحد فقط كما تعلمين، حيث تذهب الأمازونيات الى هنا لعبادة كيوبد لتجديد النسل

— هذا معلوم . وقد مضى ذلك الأسبوع المقدس منذ شهر . فهل تظنين أن أحد العشاق قد تبع عشيقته سرًّا ولا يزال متخفياً في بنطس . أوَلا تعتقدين ان الحدود بين بنطس وجارجاريا فاصلة بالفعل بين ساحات الغرام وساحات الصيام .

— بحسب شريعة الدولة يجب أن تكون الحدود خالية من مسارح الغرام .

فقالت اوجستينا مازحة هازلة : أي نعم . كما يخلو الجو من رطوبة الماء متى كانت الشمس ساطعة . حتى إذا غابت الشمس وانسدل الظلام تقاطرت[1] الرطوبة ندى على الأزاهر

ولا يخفى على القارىء من سياق هذا الحديث ان الراهبة والوزيرة هما على رأي واحد ولهذا يستلذان هذا الحديث ، ولهذا هما صديقتان تتسارّان بعض الأحيان . فقالت ملفينا مزكية قول وزيرة القضاء ضاحكة . ولذلك نرى الغرام دائم التقاطر هناك على أزاهر القلوب أليست هذه طبيعة الحُباحب أي سراج الليل لا ترى عشاقها في ضياء الشمس الباهر بل في ضياء غرامها تحت جنح الظلام .

فقالت اوجستينا مستطيبة هذا السجال الشعري :

— إذن حيث لا تقع أشعة الشمس تتلاقى قلوب العشاق تحت أشعة الغرام فلماذا تلام ؟

— فقالت ملفينا جادة : اذا ضعفت أشعة شمس الدولة عند الحدود فهل يضعف صوت الشريعة الزاجر ؟

— بل قولي صوت الطبيعة الآمر

— انما فارس الشريعة نشأ لكي يكبح جماح جواد الطبيعة . هذه حكمة الآلهة في صيانة قوى الأمة الأمازونية

فقالت أوجستينا محتجة : حاشا للآلهة أن ترتكب حكمة هوجاء كهذه ، اذ لا فائدة من القوى المحبوسة ، أيبلغ الجواد الى آخر شوطه وهو حبيس في اسطبله ، لابدَّ من اطلاق قواه لبلوغ هدفه ، والطريقة القويمة لتصريف القوى هي الحب

فقالت ملفينا مناقشة : يجب أن يكون الحب تحت سلطة القانون لأنه مسرافٌ نزقٌ متهوّرٌ

— وتنازع الحياة يستلزم النزق والاسراف والتهور ، فلا حياة بلا حب

---

(١) سالت قطرة قطرة .

ويحك الحب عدوّ استقلالنا ، لو اعتنقنا عقيدتك هذه لوقعت بنطس فريسة للاعداء

فقالت أوجستينا هازئة مقهقهة : حبذا الأعداء ! من هم الأعداء ، أليس أقرب قبيلة لنا قبيلة جاريجاريا ؟ وفيها آباؤنا واخوتنا وبنونا ، وقد ازدحمت بالذكور الذين نلدهم ونرسلهم الى آبائهم . وقلت عندهم الأناث ، وازدحمت بنطس بالإناث اللواتي نلدهنّ ونستبقيهنّ . فاذا غزانا أهل جاريجاريا كنا نحن مفترساتهم لا هم مفترسونا

— الويل لكِ أتريدين أن نفترس أقرب الناس الينا

— وما قولك اذا كانوا يغتبطون كل الاغتباط بهذا الافتراس ؟

— فقالت ملفينا متبالهة : يا لك من مماحكة . أيغتبطون في ان تكون بنطس معارك أبطال تتدفق فيها دماؤهم كالانهار ؟

فثارت أوجستينا مازحة : أي نعم يغتبطون في أن تكون بنطس معارك غرام تتدفق قلوبها بدماء الحب

وقالت ملفينا متمادية بالتباله ومستلذة هذا النقاش

— أوه — أهذه المعارك تعنين

— أي نعم . معارك الاحداق والمهج .

— هذه معارك لا نستطيع نحن الانتصار فيها . ينتصر فيها الرجال ونصبح لهم فيها إماءً ورقيقات .

— بل يكون النصر لنا حتماً . يدخل رجال جاريجاريا الى بنطس مغزوين لا غازين ويكونون لنسائها غنائم لا غانمين .

— إن تقاليدنا وتواريخ جدّاتنا تشهد ضد هذه الاماني التي تمنينّ النفس بها . فما اعتصبت جداتنا ضد الرجال الاّ لكي يسحقن نير العبودية لهم . فهل تريدين أن نعود الى ذلك النير الثقيل .

فقالت اوجستينا جادّة — أسف ان للتقليد سلطاناً على عقلك يا عزيزتي . عند الاختبار تجدين رجال هذا الزمن في معارك الغرام أسارى ونساءه آسرات .

— وقينا من شر نظريتك يا سيدة القضاء . أما كانت معارك الغرام تحتدم في أزمان جداتنا القديمات ؟ فلماذا كانت جداتنا أسيرات لا آسرات ، ورقيقات لا سيدات

فقالت اوجستينا جازمة — كلاّ لم تحدث معارك الغرام في زمن جدّاتنا لأنهن كنّ أسيرات وكان الرجال يتمتعون بهنّ بغير اقتناص كما يتمتعون بأكل الغنم والفراخ والحمام بلا اصطياد . جدّاتنا قمن بنصف المهمة التي كتبت في سفر تحرير المرأة . هنّ حررننا من

العبودية للرجال . فبقي علينا أن نستعبد الرجال، ولا سلاح لاستعبادهم الا سهام كيوبد

فقالت ملفينا مضطربة : ويكِ أخاف ان كيوبد اله الحب يعيث غراماً الآن في البلاد ويريش سهاماً إلى الأكباد إذا كانت سيدة القضاء تتمادى بهذه الفلسفة . . آخ اني أحس بوقع سهم . فمن أية ناحية ريش هذا السهم الى هنا ،(ووضعت يدها على قلبها تتحسس) .

فقالت أوجستينا : طبيعي ان يعيث كيوبد في بنطس ويرش السهام على الدوام لأن الحب جوهر الطبيعة ، فاذا عاث الجوهر في البلاد كان عيثه زهراً جميلاً وثمراً يانعاً .

— ولكن الحب في شريعتنا جريمة يا سيدة القضاء والعدل ، فكيف نتقي هذه الجريمة

— هو جريمة في شريعتنا ولكنه فضيلة في سنة الطبيعة . ولا قِبل لنا على مناهضة الطبيعة فيما هو فضيلة في شريعتنا

— ولكن الشريعة نشأت لمقاومة الطبيعة .

— حقاً ما تقولين . فلتر أيهما تغلب وتفوز أخيراً يا عزيزتي الكاهنة التقية النقية. بالطبع لا تقصي نقاشنا هذا على رئيستك الكاهنة العظمى وإن كانت قد أوصتك أن ترقبي حوادث كيوبد في بنطس، أثق أنكِ لا تقصين عليها هذا الحديث لأنك شريكة فيه.

عند ذلك باغتهما وقع أقدام . فالتفتتا الى حيث كان الوقع فاذا رئيسة الكاهنات بادية وهي تقول بصوت جهوري :

« في الغد يكمد القمر ويُعتقل الحب . فارقبي القمر يا ملفينا » .

ثم توارت وملفينا أجفلت وقالت : ويحي لقد سمعت كل حديثنا . وسينزل الويل علينا

— لا تخافي . هل سجدتِ لكيوبد ، إذن لم تعصي الشريعة . فلماذا تخافين ؟

وأسرعت أوجستينا الى القصر لكي تحضر مجلس الدولة .

الفصل الثاني

في دار الدولة في قصر الملكة

تركنا الملكة في الفصل الآنف تأمر بعقد مجلس الدولة في بهوها ، وهو يحتوي على مقاعد من خشب السنط مزخرف من الطراز اليوناني القديم . وفي وسطه منضدة من خشب مزخرفة وقد جلست الملكة أمامه وجلست حوله سائر سيدات الدولة، ما عدا الوصيفات وحاشية الملكة طبعاً .

وعلى أرض البهو أبسطة جميلة أغريقية الطراز وفي الزوايا مناضد عليها تماثيل وأزاهر

أمام التماثيل . وعلى الأبسطة فراء . وقسي وسهام وخناجر وحراب ورماح معلقة في الجدران .

— ١ —

وقد افتتحت الملكة الجلسة بورع قائلةً : إن إنذار الهيكل لرهيب يا سيدات

فتلتها أمازونيا رئيسة الوزارة بالقول : لا بدَّ أن في بنطس الآن جريمة سرية مدنَّسة قدسية شريعتها . فيجب تطهير البلاد منها . وإلاَّ نزل الويل بالبلاد . وما الويل الذي يخشى منه إلاَّ ضياع استقلالها ووقوعها تحت نير العبودية لدولة جارجاريا الطامعة فيها .

فقالت الملكة : طبعاً . لا إنذار إلاَّ تجاه جريمة ، فالأمر الذي يجب تحقيقه هو الجريمة نفسها .

فقالت فلومينا مديرة الشرطة : طبيعة الجريمة ظاهرة يا مولاتي في نفس انذار الهيكل وهي «الويل إذا انتصر كيوبد إلـه الحب على أجكس إلـه القوَّة » فالجريمة جريمة حب . وبأكثر وضوح هي جريمة اجتماع حبيبين في بنطس

فقالت أوجستينا متفلسفة . كيف يكون الحب جريمة ونحن لولاه لما وجدنا .

ففسرت أمازونيا رئيسة الوزارة : ليس الحب جريمة الا في بنطس وأما في جارتنا جاريجاريا فلا .

فقالت أوجستينا متململة — لا أفهم كيف يكون ناموس طبيعي جريمة هنا وفضيلة هناك . أليست بنطس جزءا من الطبيعة .

— أمرك غريب . هل الطبيعة دستور بنطس ؟ وهل سنَّت الشرائع إلاَّ لمقاومة الطبيعة .

— دستور بنطس لا يحرّم الحب . لا يحرِّم إلاّ دخول الذكور إلى البلاد .

— ويحرّم الحب فيها أيضاً . لأن اباحة الحب تتضمن إباحة دخول الرجال . ودخولهم خطر على الاستقلال الذي اشترته جدّاتنا بدمائهن .

فتدخلت الملكة بين أوجستينا وأمازونيا حسماً للنزاع في سر الحب وقالت : يجب أن نفسر نطق الهيكل كلمة كلمة لكي نحدد الجريمة التي اقتضت هذا الإنذار المروّع .

فقالت فلومينا : التفسير واضح يا مولاتي . القمر الساطع رمز لشيء . فهل يمكن أن يكون رمزاً إلاّ للرجل .

فقهقهت أوجستينا متهكمة وقالت : ألا يحتمل أن يكون رمزاً لحمام أو لغزال أو لتيس سيعبر الجسر .

فقالت فلومينا ساخرةً : لا ريب أن ضياء عيني تيسك يخسف القمر .

— ومن ذا يقول أن الظباء والحمام والتيوس لا تعشق . الحب كالدم جارٍ في كل عرق من عروق الطبيعة .

فشقَّ على الملكة التمادي بالجدال في موضوع الحب كأنه يحرك فيها شجوناً وهو ما تريد تجنبه في هذا المقام . فقالت يجب أن نبحث لماذا يغضب الإلـه إذا مرَّ ذلك القمر الساطع على الجسر حين يكمدُّ القمر، إذا كان المراد بالقمر الساطع رجلاً ، مع أن دخول أي رجل إلى بنطس في كل حال يُعد جريمة .

فقالت فلومينا مستدركةً : ولكن ليست كل جريمة تغضب الإلـه هذا الغضب المنذر بالويل والثبور . والظاهر من النطق الهيكلي أنَّ الإلـه يغضب إذا اتفق مرور ذلك الرجل الجميل على الجسر حين اكمداد القمر . فيجب أن نبحث عن المراد باكمداد القمر .

فقالت أوجستينا متفلسفة : الأمر واضح . ليس تفسير اكمداد القمر بخسوفه أبعد عن العقل من تفسير القمر الساطع بالرجل الجميل .

— ومروره على الجسر حينئـذٍ نذير بدخوله إلى بنطس بجريمة الحب التي تغضب الإلـهين .

فقالت الملكة مترددةً : إذاً عليك بالقبض على الرجل الذي عناه الإنذار قبل أن يمر على الجسر ساعة اكمداد القمر، أي خسوفه . وإذا مرَّ قبل الخسوف أو بعده فلا ويل

فقالت الوزيرة أمازونيا نازقة بصوت عالٍ وهي تخبط المنضدة بيدها : يجب القبض عليه واعتقاله ومقاصتهِ ورفيقته بالموت على كل حال . فاليوم رجل وغداً رجال وبعد غدٍ اقيال وأخيراً أمراء ، وحينئذٍ على عرش الدولة يا رحمان يا رحيم ، وللاستقلال نار الجحيم ولكنَّ للجميع العبودية

وكانت الملكة تختلج عند سماع هذا الانذار فقالت مضطربة : أجل يجب قطع دابر الذكورة من بنطس وإلاَّ وقعت الأمة الأمازونيـة تحت نير العبودية للرجال . على ملغينا القيمة على الأمن أن تتخذ التدابير الكافية للبحث عن أي ذكر في بنطس .

فقالت أمازونيا بحزم : ويجب أيضاً مراقبة جسر ثرمودون حول ميعاد خسوف القمر واعتقال كل امرأة تمرَّ عليه وتحرّي أمرها .

فقالت الملكة متلعثمة : وسأنزل العقاب الشديد بكل امرأة يثبت أن لها صلة برجل متخفٍّ في بنطس لتكون عبرة لمن تجرأ على تدنيس شريعة الأمازونيات . إني حريصة على استقلالهنَّ كحرصي على عرشي .

فهتفت المؤتمرات : « تعيش الملكة » ثلاثاً.

ثم قالت أوجستينا : إذن يجب أن نتحقق موعد خسوف القمر فقد يكون قريباً .

فقالت الملكة مؤمنة على كلام وزيرة العدل : على جريجوريا وزيرة الشؤون الاجتماعية استدعاء المنجمة الآن لاستفتائها .

« فخرجت جريجوريا لقضاء هذه المهمة واستمرّت الملكة تقول : حذار أن تتسرّب كلمة من هذا المجلس الى الخارج لئلاّ تضج البلاد بالأقاويل والأراجيف التي يمكن أن تحدث شغباً . بقيت الفقرة الثانية من نطق الهيكل « الويل ثم الويل إذا انتصر كيوبد على أجكس إلّه القوة حين يقترن القمران » .

فقالت فلومينا سيدة المحافظة على الأمن : الظاهر من هذا النص أن المراد بالقمرين القمران المذكوران في الفقرة الأولى : القمر الساطع والقمر المكمد .

فقهقهت أوجستينا وقالت متهكمة : أي نعم : اضبطي قمر الأرض الساطع لئلاّ يفرّ إلى قمر السماء المكمّد ويقترن به .

فقالت الملكة متحققة أمراً يهمها . ألاّ يحتمل يا سيدات أن يكون المراد باقتران القمرين مرور الرجل على الجسر مع حدوث الخسوف في وقت واحد ؟

فقالت أوجستينا : عفو مولاتي . إذا كان هذا هو المراد فالفقرة الثانية تكرار للأولى ونطق الهيكل يُجَلُّ عن التكرار الفضوليّ أو التوكيدي لأنه أكيد بلا توكيد .

فقالت أمازونيا رئيسة الوزارة باسمة : هذا كلام شخص حقوقي قانوني منطيقي . إذن فلا بدّ أن يكون المراد اقتران ذكر وأنثى في بنطس على كل حال .

فقالت فلومينا كأنها تتشفى : أجل الويل لهما . هذا تدنيس للشريعة . يجب أن يشاد هيكل حقير لكيوبد ويحرق المجرمان على مذبحه لكي يختنق كيوبد بدخان ضحيته .

فقالت أوجستينا ساخرة : وحينئذٍ يجب أن تعيني حارسات تراقبن ذلك الهيكل ليلاً وتحصينَ الأمازونيات اللواتي يدخلنَ خلسةً اليه ويسجدنَ لإله الحب .

— واجعلي فوق باب الهيكل سيفاً يسقط على كل عنق يشرئب إلى داخله .

— حاذري أن يقع سيفك خطأً على عنقكِ يا عزيزتي .

— سيفي لا يخطىء . لا يقع إلا على كل من تمدُّ عنقها الى هيكل الغرام .

فقالت الملكة متململة من هذا الحديث كأنها هي المقصودة فيه : — إذن فعليك يا فلومينا أن تستخرجي القرينين من مخبئهما ولو كانا في أعماق الخفاء .

فعادت أوجستينا الى لباب الموضوع وقالت : إذن يجب أن نفهم ماذا عنى الهيكل

بالقمرين لكي نعلم ان كانا يصحان رمزاً للعاشقين . ليس في السماء إلاَّ قمر واحد . فما هو القمر الآخر .

فقالت فلومينا : الجواب عند المنجمة . فمهلاً قليلاً فان جريجوريا قد خرجت لاستدعاء المنجمة .

— ٢ —

لم يمض وقت طويل حتى جاءت جريجوريا مصطحبة المنجمة وانحنتا باحترام كلي لدى جلالة الملكة وسائر الوزيرات . وكان تحت ابط المنجمة درج من رق الغزال يشتمل على علوم الأفلاك والتنجيم . فأمرتها الملكة بالجلوس على مقربةٍ منها . وسألتها : هل لكِ أيها العالمة أن تنبئينا متى يقع الخسوف القادم

فحلت المنجمة الثوب الأطلسي عن الرق ونشرت الدُرج مسافة ذراعين منه . وجعلت تحملق فيه الى أن قالت : « بحسب تقويم بطليموس سيد الفلكيين وأمير المنجمين يقع الخسوف القادم في موعد تمام البدر القادم » .

فقالت أوجستينا : — عمر القمر الآن عشر ليالٍ ...

فقالت الملكة : اذن بعد ٤ أيام يقع الخسوف

فقالت المنجمة : من غير بد

فسألت الملكة محققة : هل تعرفين في الفلك قمراً ثانياً ؟

— كلاَّ وحاشا يا مولاتي . لا تسمح الآلهة إلاَّ بقمر واحد يقرر صنفاً واحداً من الطوالع .

— صنفاً واحداً من الطوالع ؟ أي صنفٍ ؟

— صنف الطوالع الغرامية يا مولاتي .

فاختلجت الملكة واختلجت معها جميع الوزيرات مرتبكات وقالت الملكة : يا للعجب. هل للقمر تأثير في العشق

— القمر نفسه عاشق يا ذات البهاء .

— يعشق من ؟

— يعشق الشمس يا سيدتي . وهل يجد القمر في الفلك عشيقة أجمل من الشمس ؟

— أمرٌ غريب . كيف يعشق القمر الشمس ؟

— أما رأيت يا ذات الذكاء الباهر القمر يقترن بالشمس حين كسوفها . ولا يفارقها إلاَّ بعد عناق طويل يبثها فيه غرامه .

وكانت جميع الوزيرات مبهوتات من كلام المنجمة . فقالت اوجستينا : أعزَّك الله يا ذات العلم الواسع . إذن يُعنى بانكساف الشمس اقترانها بالقمر . وإذا قيل اقتران القمرين فاذا يُعنى

فقالت المنجمة محملقة مشرئبة العنق : من يقول هذا القول البديع ؟ إنه لشعر ساحر

— لعلَّ الهاً قاله . لا أتذكر

— المجد لهذا الاله . إنه لتعبير بديع يراد به الشمس والقمر جميعاً . لعلَّ هيلاس اله الغناء والشعر قاله

— هل تعرفين في ميثولوجيا إحدى الأمم نصًّا على أن الشمس والقمر متعاشقان ؟

— في ميثولوجيا غلاطيه انهما عاشقان . وفي ميثولوجيا كبَّدوكيا انهما اخوان . وفي ميثولوجيا قورنثيا ان الكوكبة اندروميديا ولدتهما وتركتهما فاقترنا . نعم اخوان اقترنا

— متى يحدث الكسوف التالي .

وكانت المنجمة تحملق في درجها وتقول . « بحسب تقويم استاذ التنجيم بطليموس يقع الكسوف التالي يوم ميلاد القمر التالي .

— إذن بعد ....

— بعد ١٨ يوماً كاملة .

فقالت الملكة مضطربة تريد الخلاص من المنجمة . شكراً لك أيتها العالمة الجليلة . لك المكافئة اللائقة بعلمك جزاء افاداتك .

ونهضت المنجمة وانحنت باحترام كلي ثم خرجت

— ٣ —

حدث اضطراب شديد على أثر خروج المنجمة . وجعلت الوزيرات ينظرن بعضهنَّ الى بعض كأنهنَّ يتساءلنَ الى أن قالت فلومينا : — يالله . اخوان يقترنان ؟ أليس هذا شرٌّ فظيع

فقالت اوجستينا : هذا فظيع هنا ولكنه جائز في قورنثيا . دعينا من تطبيق الشرائع الآن . لقد انجلى لغوى نطق الهيكل جيداً الآن وهو أن الويلين ينزلان على بنطس إذا اقترن الأخوان المتعاشقان حين كسوف الشمس . أجل ان اقتران الأخوين أعظم جريمة تزلزل بنطس

وكانت الملكة مبهوتة تفكر فيما جرى من الحديث فقالت : ويحهما أيقترنان في بنطس ؟

— ان العاشقين يا مولاتي ليسا بعيدين عن هذه العاصمة

فاستشاطت الملكة مختلجة واجفة وقالت متلعثمة : الويل ثم الويل لهما . سأجعلهما عبرة للأجيال القادمة

فقالت جريجوريا كاتبة سر الملكة : يمكن حدوث هذا القران الفظيع خطأ يا مولاتي

— وهل يغتفر الاهانا هذا الخطاء ؟ ان دستورنا تدارك حدوث اقتران الأخوين خطأً إذ حتم على كل امرأة أن لا تعرف الاَّ قريناً واحداً لها فترسل اليه مولودها إذا كان ذكراً وتحتفظ به إذا كان أنثى . وهكذا تستطيع أن تنذر بناتها من الاقتران ببنيه . لذلك يجب تدارك حدوث هذا الخطأ لئلاَّ تنقض الويلات على بنطس . على فلورينا أن تجمع كل دهاء السماء والأرض لكي تعتقل ذينك العشيقين قبل حدوث الخسوف تداركاً للويلات الرهيبة . وعلى كلّ يمكن أيتها الوزيرات أن تفعلما يجب عليها في اكتشاف هذه الجريمة الهائلة، وإلاَّ فالدولة تتداعى والمملكة تغزى والحرية تقتل والاستقلال يُدفن في اعماق البحر . لقد أعذر من أنذر، وسيكون الانتقام من اللواتي يحاولنَ بناء هيكل لكيوبد في بنطس انتقاماً لا تطيقه نفس بشرية . سلامٌ عليكنَّ .

وجعلنَ ينحنينَ أمام الملكة ويخرجنَ .

وفيما هي في صحن الدار همست ملفينا في إذن أوجستينا : ما قولكَ بعظة الملكة .

فقالت أوجستينا : هل تستطيع أن تقول غير ما قالت :

— ٤ —

أُرفضَّ المجلس والملكة دخلت الى جناح قصرها وجلست على مقعدها تفكر فيما سمعت وفيما جرى في الهيكل، وفي نبوءة الكاهنة الكبرى، وقد استوى الهم على نفسها وجثم على صدرها كابوس الغم . ثم جعلت تحلل النبوءة بنفسها .

لقد انحصر تفسير نطق الهيكل في أمرين صريحين : الأول مرور رجل على جسر ترمودون في حين خسوف القمر . وهذا أمرٌ تداركه أسهل من السهل . والثاني اقتران الأخوين في حين كسوف الشمس . وهذا يمكن تداركه إذا نجحت فلومينا في اعتقال أحد الأخوين . حين مروره على الجسر . ولكن من هما الأخوان . لا يمكن أن يكون افريدس أحدهما . وهب إن هذا الاقتران وقع في بنطس فانا بريئة منه ،والويل لا يقع في القصر .

ثم تقدمت نحو باب حجرة السر وفتحته ثم نادت أفروديت . أفروديت . أفريدوس أفريدوس .

فجاءها من وراء الحجرة فتىً في زي فتىً روماني يتشح بوشاح عريض طويل أنيق وإلى جانبه خنجر جميل صغير . وينحني باحترام وبشاشة ويقول : لبيك يا مليكة فؤادي وعانقته عناقاً عنيفاً ثم قالت : ما ألذّ وأجمل أن أراك بزي الفتى الجميل والحبيب المعشوق يا أفريدس . يا لقوة الجمال في هاتين الساعدين المفتولتين .

قالت هذا وهي قابضة على ساعديه .

ويا لقوة السحر في هاتين المقلتين الوضّاءتين . ويا لقوة الشعر في هاتين الشفتين العندميتين . ويا لقوة الضياء في هذا المحيّا الساطع . أخاف أن تكون القمر الساطع . ويا لقوة البهاء في هاتين الوجنتين المتوردتين .

وكانت تلمس بأناملها جميع هذه المذكورات .

ثم أردفت : يا لقوة الشباب في هذا القد العادل .

وضمته إلى صدرها ثانية وقبلته قبلة النسيم للغصن .

ثم أفلتته . ولكنها لم تستطع ان تفلت من بين ذراعيه ولا شفتاها من شفتيه كأنه لا يرتوي ولا هي ارتوت.

وعادت تقول : اغتبط أيما اغتباط إذ أراك قمراً طالعاً بزي الشاب النبيل . ولكن أشفق أن ينمّ عليك زيك في حين غفلة . فعد وتزيّا بزي الوصيفة أفروديت لئلا تباغتك إحدى الوصيفات فيفتضح الأمر .

فقال أفريدس : ولكني كما أمرتِ أتجنب الاختلاط بالوصيفات تحامياً للفضيحة .

هذا التجنب حتم على كل حال حتى في حالة تنكرك . إذ لا يمتنع ان تصادفك إحداهنّ على حين غفلة . فعد والبس لباس أفروديت.

— أخشى حسدهنّ لي لتميزك إياي عليهنّ . يعرفني وصيفة حديثة العهد في بلاطك باسم أفروديت .

— لقد أوهمتهنّ إنك فتاة من سلالة تتصل بالأسرة المالكة ففقأت بهذا الايهام عيون الحاسدات .

— ولكن ما الذي طرأ حتى صرت ترغبين في اختلاطي بهنّ .

— أشفق عليك من مللك في وحدتك في انتظاري ، حين أكون مشغولة بمهام الدولة.

— لا أشعر بملل وحدة لأني في غيابك أنظم الشعر لأبث فيه غرامي لكِ

— أما كفى ما في هذين اللحظين من السحر حتى تضم اليها سحر الشعر . انكِ قاتلي بما في هذين الناظرين من السحر . ادخل الآن الى خدرك وتنكر بزي الوصيفة وهلمّ اليّ

فدخل الى مخدعه وهي بقيت تغازل نفسها ، يا للهوى يا لشعلة الغرام في الفؤاد . كلما نفخها جبروت الملك لكي يطفئها صب عنفوان الشباب زيتاً عليها ليزيدها ضراماً ... ا ... آه ... طلبت السعادة في انتصارات الحروب فوجدتها لا تزيد على نبضة واحدة ضعيفة بين نبضات الغارات العنيفة في المعارك . توسلت اليها في مطاردات الصيد فما أصبت منها إلاّ علفة من قلب غزال تتخم معدة الجسد . وأما معدة النفس فبقيت جائعة . فتطلبت السعادة في سلطة الملك فما وجدت الاّ سلسلة مشاكل ومشاغل لا تنتهي . عبثاً بحثت عن سعادة في أي ناحية من نواحي الحياة . . . آه . فما وجدتها الاّ في الحب . تبّاً لدستور بنطس الذي يجعل الحب جريمة . فكأنه يحرّم الحياة . اذا قتل الحب فماذا يبقى من هدف للحياة ... آه ... الحب . الحب الحب . هو اله الطبيعة الذي لا يجحد . هلمّ اليّ يا كيوبد اله الحب . اني ملكة عبادك بل أنا خادمة هيكلك ..

عند ذاك جفّلها قرعٌ على الباب الخارجي . ففتحته وإذا أمها الشمطاء العمياء تبدو منه . فقالت مبغوتة : ماذا دعاك الى هذه المفاجأة يا أماه .

فقالت أمها : — صه . لا تدعي افريدس يأتي الى هنا قبل أن أملي عليك نصيحتي

— نصيحتك ؟ بأي شأن يا أماه ؟

— بشأن المجلس الذي ارفضّ منذ برهة . فان أذنيّ العمياء مرهفتان — استوعبتا كل حوار جرى بينكنّ من وراء الباب

— كانت جلسة سرية يا أماه .

— اتودين أن تُكتم أسرارك عن أخلص الناس لكِ ؟ عن أمكِ ؟ عن والدتك الساهرة على سلامتكِ وسلامة عرشكِ ؟

فقالت الملكة خافقة الفؤاد متلعثمة — أجل أنتِ أم ، بل أنت الملكة الأولى . وستبقين الأم التي لا غنى عن نصائحها .

— فاجأتك قبل أن ترسمي أية خطة بشأن افريدس . فماذا نويتِ أن تفعلي

— نويت أن أحتم عليه الاعتكاف في القصر لا يخرج منه كعادته للصيد الى أن ينقضي موعد انذار الهيكل .

— أي سبب تنتحلين لهذا التحتيم .

— لم أفكر بعد بتلفيق سبب له .

مهما لفقتِ من أسباب فلا يطمئن . وإذا اشتدّ قلقه أفضى الى فضح سره . فما هو بالأبله لكي يطاوع طاعة عمياء . ان الاحتفاظ به هنا في القصر غير مأمون العاقبة .

— إن تنكره متقن جداً يا أماه فهو يحلق عارضيه وشاربيه كل يوم مرتين . وإلى الآن لم يكتشف أحد سره

منذ اليوم ستكون العيون محملقة جداً يا بنتي

— لا يتسنى لأحد أن يتدخل بشؤون قصري .

— لاتدرين ماذا تكون عاقبة التدقيق في التحقيق الذي قررتنّه . فاذا وقعت الشبهة على افروديت تتبعت الجاسوسات افريدس الى أعماق قصرك .

فقالت الملكة مضطربة : ورأيك الحكيم يا أماه .

— رأيي أن يخرج افريدس حالاً من القصر بأية حجة من غير أن يرتاب بسبب . دعيه يسبقك الى قصر الصيد على الحدود حيث ابتدأ تعارفكما . حتى متى صار هناك توعزين إليه أن يتريث موعوداً بأن تستدعيه بعد حين اذا لم تلحقي به .

— أماه . ويلاه . لا أطيق فراقه يوماً واحداً

— أشعر بحسرتك فقد نكبت بها في شبابي أحياناً . ولكن أتطيقين ضياع عرشك إذن ؟

— ويحي كلاهما متعادلان في الميزان

— وكليهما تخسرين

— يمكن أن يسلما كلاهما إذا منحتني دهاءك .

تحتاجين إلى دهاء عظيم يا بنتي لأني أحسّ أن مكيدة هائلة مدبرة ضدك . فاحذري

— ويحي . أي مكيدة تحسين ؟

عجباً . ألا تشعرين أن نطق الهيكل مبنيٌ على تسرب أسرار القصر إليه . لأن جواسيس الهيكل يجسن أعماق الزوايا والكهوف . ولعلّ رئيسة الكاهنات عامت بأمر افريدس فنطقت بنبوءة الهيكل بناءً على هذا العلم

فقالت الملكة متفجعة : ويلاه . إذن . دبري تدبيراً ينقذني من هذه المكيدة الهائلة يا أماه من غير أن يفقدني التدبير أفريدس . هو قمري الذي لا أحتمل غيابه يوماً واحداً .

— العروش يابنتي . لا تثبت على أساس العواطف الرملي . يجب أن تكون لك ارادة أصلب من الجامد . يجب أن تقصي أفريدوس عنك الى آخر الشهر أي الى ما بعد حدوث الخسوف والكسوف . ثم نرى ماذا يكون بعد اخفاق نبوءة الهيكل .

فقالت الملكة متضرعة : أماه كيف يمكن السمكة أن تعيش في الوحل إذا نضب الماء . وكيف يعيش العصفور في أناء لا ينفذ اليه الهواء . وكيف يهتدي الجدي الى أمه إذا انحجب عنه الضياء ؟ وكيف يحيا الحي إذا انقطع عنه الغذاء والضياء والهواء والماء يا أماه .

أحين أبلغ الى قمة جبل الغرام أتزحلق الى وادي الفراق . لا أطيق يا أماه . يجب أن أتبعه على الأثر .

— حاذري أن تفارقي العرش في إبان هذه الأزمة الدولية الهيكلية لئلاً تقعي فريسة للمكيدة .

— أفٍ . أفٍ . ليت هـذا العرش لم يكن ولا كانت متاعبه ومصائبـه ... آه .. ما أسعد الراعية في جاريجاريا وحبيبها يعزف لها على قيثارته . وما أسعد الفلاّحة في قورنثية وهي تشد بحبل رفش حبيبها . وما أسعد الحاصدة في كبدوكية وحبيبها يعرقل منجلها بمنجله مداعباً . كرهت العرش يا أماه .

— أشفق عليكِ . حاذري التفريط بالعرش يابنتي . لأن حياتك مقترنة ببقائه . ولدت ذات عرش ولم تولدي فلاّحة ولا راعيـة . كوني حازمة لئـلاّ تضيّـعي الملك والعرش والحبيب والحياة جميعاً . استدعي أفريدوس وأبلغيه تعليماتك .

وخرجت الوالدة لاتلوي . وبقيت الملكة تناجي نفسها ! واويلتاه كيف أستطيع فراق ذلك البدر الساطع . هل تستطيع عيناي الغمض وهو بعيد عني . كل يوم أقضيه إلى جنبه يزيد غرامي به . كذب الشعراء الذين يقولون دوام الوصال يورث الملال . لعلهم لم يذوقوا طعم الحب . فكيف يبدعون التشبيب والغزل والنسيب . آه . ولـكن لا بدّ من إبعاده ريثما يمر زمن الانذار بالويل . فيا قلب تحمل الفراق على أمل اللقاء .

ثم فتحت الباب ونادت أفريدوس .

ودخل أفريدوس فاذا هو أفروديت إلهـة الجمال ، لايمكن أن تظنه شابًّا ، لأنه أتقن زي الحسناء من كل وجهة ، فتلقته الملكة باشّـةً متهللة وأخـذت بيده وطوّقت خصره بذراعها وتمشّـيا معاً وهي تقول : الى ينبوع السرور . وهو يقول لها : لبيك يا بحر البهجة والحبور .

فقالت : أليس البحر متجمعاً من الينابيع فكيف لا يتعاظم ويتدفق على مرور الزمن كأنه لا ترويه الينابيع .

— الينبوع ياعزيزتي سلسال قطرات صغيرة تتلاشى في البحر الخضم فلا تزيده مقداراً .

فقالت بعد صمت هنيهة وتأمل وتفكير في ما هي فيـه من بلبال . أفريدوس من أين تأتي مياه الينابيع .

— إنها قطرات المطر تتغلغل في الأرض ثم تتفجّـر من منافذها .

— ومن أين يأتي المطر .
— من فيض الآلهة .
— أي الآلهة .
— مطر السرور من فيض كيوبد إلـه الحب. أتنكر أن الحب مصدر كل سرور وسعادة ؟
— لا أنكر .
— إذن فلماذا لا تبنين هيكلاً لكيوبد .
فأجابت بدلال وابتسام ساطع : بنيت .
— أحقيقيٌّ ! أين !
فأشارت الى قلبها وقالت : هنا . بنيت هيكلاً واحداً لمتعبد واحد .
فقال أفريدوس متدللاً أيضاً : كيوبد إلـه جميع البشر فكيف تحصرين عبادته في هيكل واحد لمتعبد واحد ؟
— أتريد هيكلاً يشترك بالعبادة فيه كل الناس .
— كذا تكون الهياكل . يجب أن تبني هيكلاً لكيوبد في بنطس يقصد اليه كل الناس .
— أنت تعلم أن لا محل له في بنطس . ولا سلطة لي في غيرها .
— حيثما تبنين هيكلاً لكيوبد تنقاد السلطة اليك صاغرة .
— تغضب أمتي .
— غضب كاذب .
— كيف يكون كاذباً وهو يزعزع عرشي .
— بل يثبت عرشك . لأني أعلم عباد كيوبد في بنطس أشد حرارة غرام من عباده في اي مكان آخر .
— لو بني هيكل هنا لهدمته في دقيقة وجعلنَ مكانه قاعاً صفصفاً .
فقهقه افريدوس قائلاً : ليتك تمتحنين الأمر فترينهنَّ يترامينَ اليه ترامي الفراش على المصباح .
— يرمينني منه بسهام مسمومة .
— يرمينك بأغصان الورد امتناناً وشكراً .
— هذه مجازفة يا أفريدوس لا أجسر ان أقدم عليها .
— ليس في الأمر مجازفة . يبنى الهيكل في الحدود قرب قصر الصيد الذي اجتمعنا فيه لأول مرة من غير أن يعلم من بناه . وحينئذٍ ترين الأمازونيات يتهالكنَ في التردّد اليه

خلسة وبعد حين جهاراً . وفي زمن غير طويل يتلاشى العداء الذي حدث بين دولتي بنطس وجاريجاريا بسبب الدسائس . وثمّ يتواتر القران بين الأمازونيات والجاريجاريين . وأخيراً يتحوّل الخصام الكاذب بين الأمتين الى ولاء صادق . وثمت يتسنى ضَمّ العرشين في عرش واحد تتبوئينيه أنتِ .

— وي . وي . وي . لقد شططتَ كثيراً يا إفريدوس . تزين لي حلماً لا أتصوّر تحقيقه حتى ولا في السماء السابعة. فكيف يمكن ذلك .

فقال افريدوس جادًّا : تقترن ملكة بنطس بملك جاريجاريّ ...

فقالت مبغوتة غاضبة : ويحك . أتخادعني بحبك لكي تزين لي قراناً بملك جاريجاري وقد صار ملككم عدوًّا لدوداً لأسرتي . إذن كنت تتصنع الغرام بي تصنعاً لكي يكون السبيل الى اتحاد العرشين وضمّ المملكتين بزواج ملكي أكون فيه أمة لا سيدة . لا. لست أصبر على هذا الخداع لحظة .

فقال افريدوس بدلال وشمم . أتبلغ منك السذاجة أن تفهمي من مقالي قرانك بغيري ؟ هل ترين فيّ العاشق النذل الذي يسخر عشقه أو يؤجره لقضاء مأرب لغيره .

فقالت مبهوتة . إذن كيف يتحد العرشان بهذا القران وأنت تقول أنك من سلالة الكهنوت لا من سلالة ملكية ؟

— هل تجهلين أن السلالات الملكية مشتقة من السلالات الكهنوتية في كل أمة . إذن فلا بدع أن يصير ابن كاهن كبير ملكاً .

— هل مُسخ ملك جاريجاريا إلى خنفسة حتى لا تحسب حساباً لمقاومته .

— أجل في جاريجاريا سلطة العرش مستمدّة من سلطة الكهنوت . والشعب الجاريجاري ضاق ذرعاً من قانون دولتكنّ الذي أفضى على مرور الزمن إلى تكاثر الذكور في جاريجاريا وتجمع الأناث في بنطس . لأن الأمازونية التي تقارن جاريجاريًّا في ربيع المغازلة إذا ولدت بنتاً احتفظت بها أو ذكراً أرسلته الى أبيه . فأصبحت بنطس مملكة نساء وجاريجاريا مملكة رجال قلت فيها النساء . وكثيرٌ من الشبان لا يجدون لهم زوجات . وجميع الآلهة تستنكر هذا التفريق . وكيوبيد يتضجّر منه . فإلى متى هذا الفسق المنافي لسنة الطبيعة ؟

وكانت الملكة تفكر في منطق أفريدوس هذا وتزنه وترى الصواب فيه إلى أن قالت: تكاد تريني سعادةً لا أتصوّر وجودها حتى في عالم الآلهة . هذا اقتراح خطير الشأن ، يجب البحث فيه مليًّا قبل تقريره والبحث في خططه قبل تنفيذه . لذلك أود أن تذهب

الليلة إلى قصر الصيد في الحدود وتنتظرني هناك الى أن أوافيك بحاشيتي للصيد . وهناك يخلو لنا الجو ونتفاوض في رسم الخطة الضامنة النجاح

فأجاب افريدوس مبتهجاً ، لماذا لا أبقى هنا ثم اذهب مع الحاشية ؟

— صرت أخشى انفضاح أمرنا . فأود أن تسبقني بدعوى أنك موفد لتهيئة أجهزة الصيد . وهناك سيرونا الوصيفة المخلصة الحارسة قصر الصيد والقيِّمة عليه تكون في خدمتك .

— لا أرى موجباً لهذا التدبير العاجل . لعلك تريدين بهذا التدبير اقصائي عنك .

— كلاَّ البتة . بالعكس . أود أن أضمن بقاءك إلى جنبي إلى الأبد . لا تسيء الظن بي وأنا أعبد كيوبيد فيك . اذهب الليلة إلى قصر الصيد وانتظرني هناك .

— كم عمر انتظرك ؟

فضحكت ملء فمها وقالت : بعض الأسبوع

— أبعد غد ؟

— أو بعده فلا تضجر .

— بدأ الضجر منذ الآن

— راعِ القمر فهو شعاع الحب بين قلبينا

— سارى القمر مكمِّداً حيث لا تكونين موجودة تمدينه بضيائك .

فقالت مجفلة : إذن فلا تساهر القمر بل ناجِ الشمس في النهار فهي جمرة الحب بين قلبينا .

فقال متضرعاً — بربك لا تبطئي لئلاَّ تحرق تلك الجمرة قلبي فلا تجدين حين اللقاء إلاَّ رماده

فقالت ضاحكة : اذهب أعدَّ جوادك . فالشمس على وشك المغيب . تبلغ إلى قصر الصيد في ضحى الغد إذا لم يخنك الجواد .

ثم تلاثما ملاثمة الوداع . وخرج الى الاسطبل

الفصل الثالث

في دار القضاء

في دار القضاء بهوٌ رحيب أنيق فيه مقاعد من خشب السنط مزخرفة زخرفة أغريقية جميلة ،وفي وسطه منضدة من نفس الخشب . وإلى جانبي مقدم البهو عمودان ضخمان يتوسطهما تمثالان للإلهين إجكس وارس وقد علق في الجدران ، حراب وسيوف وقسي وسهام .

(١)

وكانت أوجستينا سيدة القضاء أو وزيرة العدل جالسة لدى المنضدة وفي يدها رق القانون تنشره رويداً كلما قرأت لنفسها بعض أسطره . وما هي إلاّ هنيهة حتى دخلت أودينا الشرطيّة الكبرى أو ذات الرتبة العالية بثوب خاص يدل على رتبتها ،وفي يدها رمح قصير ذو حربة . وضربت الأرض بكعب رمحها ضرباً خفيفاً . فالتفتت إليها أوجستينا وسألت : هل جدَّ شيءٌ بشأن المعتقلات التسع على جسر ترمودون ؟

— عثرنا على عاشرة يا سيدتي مشتبه بها في فندق التاجرات ،فاعتقلناها منذ ساعة

— أية شبهة ظهرت فيها

— أعدم يمناي إذ لم تكن رجلاً جاريجاريًّا متنكراً .

— وي . وي . اذاً عثرنا على القمر الساطع

فقالت اودينا باسمة : بل على القمر القاتم يا سيدتي . وأما القمر الساطع فما هو الاّ المعتقلة السابعة التي أصرَّت على عدم الاقرار بهويتها لأن الشبهة قويت عليها .

فاشرأبت اوجستينا مهتمة وقالت : ماذا بها من دلائل الشبهة . هل كذبت بحقيقة شخصيتها

— بل حقيقتها كذَّبت شخصيتها .

فابتسمت اوجستينا وقالت : كيف ؟ هل شرعت تتحوَّل من صنم الى انسان ؟

— لا . لم تزل صنماً لايتحول . وانما . أليس هذا هو الصباح الثاني لاعتقالها .

— بل مضت عليها ليلتان ونهار في المعتقل هنا . فماذا ظهر من كذب شخصيتها ؟

فقالت أودينا مداعبة ومشيرة الى خدها : وجنتا الصنم كذبتا كذباً صراحاً .

— هل اصفرَّ أحمرها وجلاً ؟

— بل اخضرَّ اورقاً .

فقالت اوجستينا ضاحكة : تبًّا لك . أتعنين أن شيئاً أخضر نبت فيهما .

— أي وربي . نبت فيهما عذاران ... أ ... جميلان .

— ويك . أعذاران ؟ أشعرٌ نبت فيهما كما يبدو في خد الفتى .

— نعم . إذ لم يتسنَّ له أن يحلق منذ وقع أسيراً الى اليوم . فتأملي أن ترى شبحاً في ثوب مرأة أنيق وعلى خديه عذاران وعلى شفته شارب

وجعلت اوجستينا تقلبُ الرق في يديها وقالت :أماهي سابعة اللواتي قبضت الشرطيات عليهنَّ حين مرورهنَّ على جسر ترمودون حين خسوف القمر ؟

— بلى هي . هي

— هل علمت متى عبرت المتنكرة العاشرة على الجسر .

— لا . لأن ذلك المتنكر لم يبت في الفندق إلاَّ أمس . وقد جاء اليه متأخراً ولم يخرج منه الى أن اعتُقِلَ

— آتيني بهذا المعتقل العاشر أولاً . وحافظي على السابع جيداً ريثما انتهي من التحقيق مع ذاك أولاً .

وبعد أن خرجت اودينا جعلت سيدة القضاء تخاطب نفسها :

حقًّا . لم يكن نطق الهيكل عبثاً . سنرى أي الدواهي في صدري هذين الرجلين المتنكرين . هل لهما غرض واحد أم انهما لا يلتقيان عند غرض واحد

وفي الحال دخلت أودينا تقود رجلاً متنكراً بثوب امرأة وفي يديه غلٌّ (سلسلة حديدية) متصل بطوق في عنقه وعلى وجهه لثام تبدو من خلاله عينان حادتان . لأن السجن في نفس الجدار .

ثم أشارت أوجستينا الى أودينا أن تخرج . ورفعت أوجستينا اللثام عن وجهه فبدا لها رجل في آخر سن الشباب دميم الوجه ذو أنف أشم . وجلست وهو بقي واقفاً أمامها وسألت كيف دخلت الى البلد من غير أن تشتبه بك امرأة أمازونية أو شرطية الحدود لكي تصدك عن الدخول .

فقال بأنفة وكبرياء : دخلت مستتراً بغلس الليل الماضي .

— أين كنت في نهار أمس .

— كنت مارًّا في الحدود

— كيف جرؤت وأنت تعرف أن قانون الأمازونيات يحرِّم دخول الرجال الى بنطس تحت طائلة القصاص .

خاطرت مضطرًا لأمر ليس فيه مساس بقانون البلاد .

فقالت بنزق : ما هو ؟

— لي حبيبة جاريجارية يأباها عليَّ أهلها . وقد اضطهدوها لأجلي . فلجأت الى عاصمة بنطس وجئت أبحث عنها لكي نتفاوض بتدبير موافق لكلينا .

— وي وي . لقد أصبحت بنطس ملجأ العشاق . . . ما اسمك يا هذا وما اسم حبيبتك ؟

— مولاتي أرجو أن تعفيني من هذا السؤال . العادة عندكنَّ أن الهاربات اليكنَّ بسبب غير مشين يلجأنَ الى الهيكل . وكنت مزمعاً أن أقصد اليه لكي أسأل عن حبيبتي هناك ، فاعتقلت قبل أن يأتي الليل . فأرجو أن تسمحي بارسالي الى الهيكل وهناك يثبت صدق دعواي

— لا أجيب طلبك الاَّ إذا اعترفت بهويتك وهوية حبيبتك .

— مولاتي اعتقد أن قضاء الأمازونيات الجليل التريف يسمح لي بكتمان هويتي وهوية حبيبتي حرصاً على كرامتنا . وأظن ان ابلاغك امري الى قداسة كاهنة الهيكل الجليلة يريحك ويريحني من عناء التحقيق .

وهنا نادت اوجستينا اودينا وقالت لها ردّي هذا المعتقل الى كنّه ثم تعالي .

وخرجت اودينا بالمعتقل وشرعت أوجستينا تكتب على رقٍّ صغير :

« الى سيدتي الورعة المبجلة رئيسة الكاهنات في دار القضاء

«عندي رجل جاريجاري متنكر معتقل يزعم أن له حبيبة لاجئة الى الهيكل فراراً من اضطهاد أهلها لأجله . ويأبى أن يبوح باسميهما . فاذا كانت عندك هذه الفتاة فأرجو أن ترسليها مخفورة الى دار القضاء لأجل التحقيق في دعوى هذا المعتقل »

اوجستينا

سيدة القضاء

ثمَّ لفت الرق وربطته بشريط أحمر . ولما عادت أودينا قالت : أرسلي هذه الرسالة الى الهيكل . ثمَّ آتيني بذات العذار ، لأنه يلوح لي أن هذا المتنكر الآخر الذي كان في الفندق ليس القمر الساطع الذي مرَّ على الجسر حين اكمداد القمر .

— حتى ولا نيزك هابط يا سيدتي .

— أجل أظن أن ذات العذار هي بيت القصيد .

— نعم هي بيت القصيد الذي يصعب تفسيره .

— هل حاولت استنطاقها ؟

— لم أستنطق منها إلاَّ لفظة « لا » فهي مغرمة بهذين الحرفين كأن اللغة كلها مجتمعة فيهما .

فقالت أوجستينا ضاحكة : أوه . كثيراً ما تجتمع اللغة كلها في حرفين .

— أفي حرفين بلا معنى كحرفي « لا »

— لا بل كحرفي حاء وباء ففيهما كل معاني الوجود

— اي وربي . فيهما كل لاهوت كيوبيد وفلسفته . ليتك تشرحينهما يا سيدتي

— آتيني بذات العذار لعلي أتوفق إلى شرحهما .

— ٢ —

وما هي إلا دقائق حتى عادت أودينا بفتىً بثوب امرأة أمازونية مغلولة اليدين والسلسلة متصلة بطوق في عنقها، وعلى ظهرها جعبة سهام وعلى كتفها الأيسر قوس معلقة للدلالة على إنها كانت في الصيد . فقالت أوجستينا دعيني يا أودينا استوحي الفلسفة من التي أشرت إلى مصدرها

فخرجت أودينا . وكانت أوجستينا تتفرَّس في المتنكرة المعتقلة جيداً معجبة بجمالها . ثمَّ أشارت إلى مقعد لدى المنضدة وقالت آمرة : — جلوساً

فقعدت المتنكرة . واستأنفت أوجستينا التحقيق : أتأسف ياذات العذار إذ دار الإعتقال خلو من موسى يُحلق بها عارضيكِ . ولكنك لو أنبأتني منذ أول ساعة أنك اعتدت الحلاقة كل صباح وكل مساء لاختلقت لك موسى من أعماق الخفاء . فعذراً . اين الموسى التي كنت تحلق بها عارضيك فآتي بها إليك .

فتبرَّم الفتى ولم يجب بكلمة

— عذرت اقلالك من الكلام أمس إذ كانت رئيسة الشرطة تحقق معك لأن الحياء من طبع النساء الجاريجاريات المتحصنات . ولكن الإقلال من الكلام الآن إنما هو جبن لا يليق بالرجال الجاريجاريين الذين تربطنا بهم أوثق صلة : صلة الدم . فمعظمهم آباؤنا واخوتنا وأولادنا . هل تريد أن تنكر شهادة هذا العذار اليانع ؟ (قالته بابتسامة)

— لا أنكره

— حسناً . ولماذا كنت تحصده كل يوم وهو نصف حسن الفتى الجميل .

— لأنه مستنكرٌ في بنطس

— ومن هي المرأة التي لم تستنكر وجودك معها بدونه

— لا أعرف إمرأة أمازونية لا تستنكر وجود رجل معها في بنطس

فقالت باسمةً ابتسامة شعاعية : أما كنت تأوي إلى منزل امرأة حسناء ؟

— لا

— أين كنت تبيت ؟

— في السجن

— وقبل السجن

— كنت في الحدود

فقالت سيدة القضاء أوجستينا متدللة مبالغة في الابتسام : من هي المرأة السعيدة التي كانت تتوقع قدومك إليها ؟

— لا أدري

— إلى أين كنت تقصد إذن ؟

— إلى أي فندق في هذه العاصمة .

— لماذا قدمت ؟

— لأجل النزهة . ولمفاخرة رفاقي في مشاهدة عاصمة مملكة النساء التي لم يدخلها رجل

— هل كنت تجهل القانون الأمازوني الذي يحرّم على الرجال الدخول الى مملكة النساء وعقاب مخالفته ؟

— كنت أعلمهما ولهذا تنكرت

— أما حسبت حساب الافتضاح وهذا المصير الذي انتهيت إليه ؟

— ان طيش الشباب يخطىء الحساب يا سيدتي

وكانت تحملق في عينيه باشة الى أن قالت : لا يطل من هاتين المقلتين إلاّ سحر بابل . أمن أصل بابلي أصل سلالتك ؟

— ربما

— لا أرى في هذه النظرات الخالبات طيشاً . بل أرى ذكاء يضارع البهاء الذي يشع من هذا المحيّا الوضّاح . فلست أقتنع أنك غبي لا تحسب حساب وقوعك تحت الشبهة . أعتقد أنك لم تقدم على هذه المجازفة إلا اعتماداً على قوّة تنقذك . فما هي ؟

فقال الفتى متبسماً : ما هي إلاّ رحمة القضاء بي

— لقد صحت فراستي. لم تطمع برحمة القضاء بك إلاّ اعتماداً على شفاعة قوية بك. فما هي ؟

— ما هي إلاّ شفاعة القضاء نفسه

— يلوح لي أنك عظيم الأمل بتسامح القضاء. ففي مقابل أية محمدة تمنّي نفسك بعطف القضاء ورحمته.

— التسامح يا مولاتي في مقابل محمدة لا يُعدُّ رحمةً بل هو جزاء للمحمدة. لأن المحمدة ثمن له. فأنا آمل برحمة القضاء لأني شاعر بأنه مفعم « رحمةً وعطفاً بلا ثمن »

فقالت أوجستينا متهللة كأنها أصابت غرضاً في نفسها ؟ ولكن قانون الأمازونيات صارم (مشيرة الى رق القانون الذي في يدها وناشرة منه بعضه).

— القانون كتابة بكماء في رقعة صماء. والقضاء ينشره ويطويه كما يشاء

حينئذٍ شعرت أوجستينا بفيض الشعر في مخيلتها وقالت متغزلة : يخيل لي أنك توكّل هذه النظرات الساحرة بأن تشل اليد التي تنشر القانون. ثم لفت الرق كما كان وردّته الى موضعه إذ كان الفتى يجيب باسماً : إذن لم يخب أملي برحمة القضاء.

— هل كانت تلك المرأة المسببة بهذه اللواحظ تطمع برحمة القضاء بك.

— عسى أن تعثري على امرأة كهذه فتسألينها

— ما خاب ظني في سحر هاتين المقلتين الفاتنين. سحر يشق الطريق الى الدهاء. سؤال آخر. هل تتفضل بالاجابة ؟

— أشكر لسيدة القضاء الموقرة لباقة تحقيقها التي فرشت طريق الاجابة بزهور العطف واللطف، وأطلقت لساني من قيد الاعتصام بالصمت كلما أنذر السؤال بخطر الوقوع في الفخ. فتفضلي بالسؤال :

— هل تتوقع أن الحسناء التي كانت تتوقع نعيم اللقاء بك تقبل الرحمة بك من يد القضاء ؟ (تشير بيدها)

— جواب هذا السؤال يا سيدتي في فم المستقبل.

فقالت أوجستينا متململة : ما أسعد حظ تلك المعشوقة العاشقة التي يختم حبك لها باب أسرارها بختم لا يستطيع أحد فكه. ترى هل هي جديرة بهذا الاخلاص

أشكر حسن عقيدتك بأسيرك يا مولاتي. هل عندكِ دليل على وجود عاشقة لي معشوقة؟

فتنهدت أوجستينا وقالت متحسرة : أعرف عاشقة لك: لا أدري إن كانت معشوقة لك (تعني نفسها)

فقال الفتى مختلجاً : ما أتعس المعشوق الذي يجهل السعادة التي هو فيها.

فردّت اوجستينا : وأتعس منه العاشقة التي غمضت عينا عشيقها عن ملامح غرامها .

— تبًّا لهذا العشيق . أأعمى هو ؟

فوقفت أوجستينا متئدة، فوقف هو أيضاً وقالت : سلمت عيناه . بربك أتعلم كيف يفهم فرخ الحمام شوق قرينته الحمامة له ؟

فأجاب الفتى متردداً : أظن انه متى هدر لها أحسّ قلبه ينبض نبضاً قويًّا كنبض قلبها أعني أن القلبين يتخافقان .

— اذا كنت أنت لا تحس هذا الاحساس فبربك هات يدك لعلك تحسه .

وأمسكت بيده ووضعتها على أيسر صدرها . وهو استردّها بكل لطف ففهمت هي من استردادها اباءته ثم قالت :

ما أشقى الحمامة التي لم ينبض قلب الفرخ مع نبض قلبها . آه لقد كانت حياتك في يديّ فأصبحت وحياة قلبي في يديك أيها الفاتن الفاتر . امنحني نظرة حب وبسمة غرام وفي ليل ونهار تكون مطلقاً الى الحدود .

ثم قبضت على كفه كأنها تريد ضمه الى صدرها وقالت إن القضاء مرنٌ في يدي . أصدر حكمي باطلاق سراحك بدعوى أنك فتى طائش لم تقدّر العواقب حق قدرها . ولم يثبت عليك سوء قصد . فهل تسمح الآن ....

وهمت به، ولكن اودينا باغتتها قبل أن تنال مأرباً منه وقالت : بلاغ رسمي يا مولاتي

فارتدّت اوجستينا مبغوتة وقالت : أدخلي هذه المتهمة الى الحجرة السرية وأوصدي الباب دونها . واستدعي ناقلة البلاغ

ففعلت أودينا كما أمرتها سيدة القضاء ثم أومأت لها هذه أن تخرج من حيث أتت .

— ٣ —

ما هي إلاّ دقائق معدودة حتى دخلت جورجيا رئيسة وصيفات الملكة وانحنت باحترام كلي لسيدة القضاء وقالت : السلام على سعادة وزيرة القضاء .

— سلاماً . وسمعاً وطاعة للبلاغ الملكي الشريف

فقالت جورجيا بوضوح وصراحة : بلسان جلالتها أسأل : ماذا بدا من الشبهات في أمر المعتقلات .

— ظهر بينهنّ رجل متنكر ليس في العير ولا في النفير . ما هو إلاّ جحش لا يعرف كيف « يبرطع » . ثم ظهر آخر متنكراً . وهو فتى قلبه طامور أسرار، وأنا مجدة في استخراج أسراره .

— وي . وي . وي . فتىً متنكرٌ ؟ هذا ما كنا نتوقعه . بأي زي .

— بزي صيادة

فقالت جورجيا مازحةً : أغزالةً كان ذلك التعس يطارد ؟

فقالت اوجستينا تعقب على مزاح جورجيا بمزاح فظيع : لعله كان يطارد أفعى

— أأحمق هو حتى يطارد أفعى الى قلب بنطس ؟ لا بدَّ انه كان يطارد حمامة كانت تستدرجه الى أن وقع في الفخ

— الى الآن لم يبدو منه أن له صلة بحمامة ولا بغزالة . يزعم أنه جاء للتفرج والنزهة

— أجاء هذا الشقي لكي « يتفرَّج » على حمامته كيف يحزُّ عنقها وينتف ريشها

— ينكر أية صلة له بأنثى

— اتبلغ منك السذاجة يا سيدتي الوزيرة إلى حد أن تصدقي زعمه بعد أن قضيت عمراً في خدمة القضاء ؟ أرجو عدم المؤاخذة على هذه الجسارة مني

— خمسة عشر عاماً لم أر في خلالها أحداً طائشاً طيش هذا الفتى الأحمق .

— بلسان جلالة الملكة أقول : يجب أن تتحقق الى أن تكتشفي المرأة التي له صلة بها.

— قد يكون الفتى صادقاً فيما يقول . وليست له صلة بامرأة

— يجب أن تخلقي له صلة بامرأة لكي تتم نبوءة الهيكل بجريمة ، ولكي يتم العقاب ويرتفع ويل الهيكل عن البلاد .

— إن كان لا بد من ذلك ففي طوقي أن أجعل دار القضاء دار تمثيل جرائم ومنصة لتنفيذ الاحكام بالاعدام أيضاً لكي يرضى الهيكل .

— لماذا تكلفين نفسك كل هذا العناء . كلفيها نصفه فقط . ففي قبضة يدك الآن أحد المجرمين فاختلقي له شريكة بالجريمة وأقضي عليهما .

— حتى ولو كانا بريئين ؟

— ان كان هذا بريئاً فاعدامه لا يسوء أحداً . ولا العالم ينقص فرداً واحداً قبل ميعاد نقصه. وفي كل دقيقة يأتي للعالم بدل ما ينقص منه .

— ولكن عدل القضاء غير عدلك .

— دعي هذا العدل. ففي بلاط الأحكام يتلوَّن العدل . السلام عليك .

ثم خرجت جورجيا مرحة . وما إن خف وقع أقدامها حتى استدعت أوجستينا أودينا رئيسة الأمن .

— ٤ —

ودخلت أوديا فبادرتها أوجستينا : أما سأل أحد عن المتهمة السابعة ؟

فأجابت أوديا ضاحكة : أذات العذار تعنين ؟ من تجسر أن تسأل عنها وتعرض نفسها للشبهة . ماذا اكتشفتِ من أسرار وفيها الحاء والباء المحتويان على الوجود المطلق .

فقالت أوجستينا . إني اكتشفت في صدرها أبا هول مصريًّا ، وفي عينيها سحراً بابليًّا ، وفي ثغرها شعراً هوميروسيًّا يونانيًّا . وفي قلبها حكمة سليمان العبراني . وفي نفسها شمم بلقيس بلميرا . وفي رأسها ذكاء أوقتافيوس الروماني .

— لله درها . إذن هي مجموعة أمم .

— أجل مجموعة الأمم وقعت في قبضة القضاء اليوم . آتيني بها من الحجرة السرية التي أودعتها فيها .

وفيما أوديا عائدة من الحجرة السرية بالفتى قالت : أشعر باختلاج في قلبي يا سيدة القضاء . أمن سحر بابل هذا يا ترى .

فقالت أوجستينا : لا تنسي أن تقفلي الباب وراءك . ثم أشارت للفتى أن يقعد فقعد وقالت : من العبث التساؤل عن هويتك يا هذا ، لأنه لا ينتظر من متهم أن يصدق في جواب

فقال : إني في إعجاب عظيم يا سيدتي بفهمك الحقائق من غير سؤال .

— أتظنني فاهمة الحقيقة منك تمام الفهم ؟

— لا أدري ما هي الحقيقة التي فهمتها عني يا مولاتي .

— أعني انك من الطبقة التي تمتطي الجياد وتحمل النجاد وتصارع الآساد وتنازل الأبطال وتبارز الأقيال .

لقد سبقتِ فقررت يا سيدتي أنك لا تنتظرين مني جواباً جازماً بهذا الشأن فأخاف أن أجيب جواباً جازماً فتنخدعين بصدقي .

— يقيناً لا يهمني من أنت ما دام القانون عندنا لا يميز بين الأشخاص . فحسبي أن المتهم أمامي بشخصه جسداً وحياةً وعقلاً وروحاً . أجبني على سؤال واحد فقط بلا مراوغة ولا مواربة لأن الأمر باستنطاقك جازمٌ ، من هي المرأة التي تتصل بها ؟

— تضطرينني يا سيدتي أن أعود الى صمتي السابق بعد أن أطلقت لباقتك العنان للساني واستوفى تحقيقك حقوقه .

— أجل ، لا أرجع بوعدي لك أن أفسّر ذنبك بالطيش والتهوّر لتبرئتك . ولكن

انجاز هذا الوعد لا يمنعني من الاستقصاء عن المرأة التي لك صلة بها . فإذا لم تبح باسمها وهويتها فلا بدَّ من انزال العقاب الشديد بك . وهذا ما أريد أن أتداركه ولو بتضحية مني

— شكراً لعطفك الذي لا يقدر بثمن . إذن اختصري الطريق وأحكمي بالعقاب الآن ولا مقتضى لانزعاج كلينا بالتحقيق العقيم .

ووقفت وأمسكت بإذنه وقالت : لله منك عنيداً مكابراً . حاولت انقاذك فعاونت القدر على معاكستي .

وطوَّقت خصره بذراعها وهمَّت أن تضمه الى صدرها ، وإذا بأودينا تفاجئها قبل أن تفعل ، فانتفضت الى الوراء بهزَّة كأن تياراً كهربائيًّا نفضها ، وكأن تياراً عصبيًّا كلح وجهها وصفَّره وقالت : ماذا عسى يا أودينا ؟

— ٥ —

— بلاغ رسمي ياذات القضاء والدينونة والصفح والمغفرة .

فقالت أوجستينا وهي تبتغي أن تختلق عذراً لسبب وقوفها الى جنب الفتى . وأمسكت بيده وقالت : أدخلي ذات العذار الى حجرة السرّ هذه .

وبعد أن نفذت هذا الأمر قالت لها : أدخلي جورجيا ناقلة الأمر الملكي .

فدخلت جورجيا وحيت التحية الرسمية . فقالت أوجستينا : أمر جلالتها ؟

— هل اعترف الفتى بشيء .

— حاولت أن أجرّعه مقيئاً عسى أن يتقيأ اعترافه الصادق ، فلم أنجح ولا أظنني أنجح

— تهديده بالحكم بالموت . وإن أصرَّ على الكتمان فأصدري الحكم واسميه نصه . وان بقي مصرًّا فارسلي نص الحكم الى جلالتها .

— سمعاً وطاعةً .

ثم خرجت جورجيا وبقيت أوجستينا تكتب الحكم الى أن دخلت أودينا فأمرتها أن تأتي بذات العذار .

فقالت أودينا : أفٍّ من عذارها . لقد أزعجنا كثيراً يا سيدتي ، ليتك تأمرين بحصده

فقالت أوجستينا مازحةً . وإذا خلقناه فماذا يبقى من فلسفة كيوبيد التي تودين درسها يا غبيَّة .

دخلت أودينا الى الحجرة السرية ثمَّ عادت بالفتى قائلة ، يكاد هذا العذار يصبح مرجة زمردية اللون .

وخرجت أودينا بإشارة من ذات المعالي الوزيرة ، وهذه تلقت الفتى بابتسامة مشرقة وقالت : لم يبقَ في قوس الصبر منزع يا عزيزي المتهم . ولم يعد في وسعي احتضانك . كلما أطال القضاء الأجل قصّره القدر . ولا حيلة في القدر الإلهي إلاّ حيلة واحدة وهي أن تتقيأ اسم شريكتك في عبادة كيوبيد المحرمة في بنطس، لكي تشفى من دائك المميت . فما قولك .

— لا يموت الإنسان يا سيدتي مرتين . وأما في هذا التحقيق العقيم فقد مت ثلاثاً، ولتكن الرابعة خاتمة الموتات

فقالت أوجستينا يائسة عابسة : إذاً اسمع

وقرأت : « حكمت دار القضاء الأمازوني على المعتقلة السابعة من معتقلات الرابع عشر من هذا الشهر التاسع اللواتي اعتقلنَ على جسر نهر ترمدون ، لأنه ظهر أنها فتىً متنكر بزي أمازونية، ولم يقرّ عن شريكته بجريمة عبادة كيوبيد المحرمة في بنطس . حكمت عليه دار القضاء بالموت برمي السهام في قلبه إلى أن ينضب دمه . ولا يقيه من هذا الحكم إلاّ اقراره عن شريكته قبل التنفيذ . »

ثمّ استدعت أودينا وأمرتها أن تدخل الفتى الى كنّه في الغرفة السرية . ففعلت أودينا كما أمرت . ثم لفت أوجستينا رق الحكم وختمته . وقالت لأودينا : ارسلي هذه الوثيقة الى القصر حالاً . لم يبقَ لهذا المنكود الحظ إلاّ أن يستهدف قلب الملكة لسهامه عسى أن تنفتق لها حيلة لانقاذه

— ٦ —

بعد قليل جاءت أودينا إلى سيدة القضاء تبلغها أن رئيسة الحكومة أمازونيا جاءت لمقابلة أوجستينا . فوقفت أوجستينا تقول : على الرحب والسعة بالرئيسة الموقرة :

ودخلت أمازونيا وحيت فأخلت لها أوجستينا كرسيّ الرئاسة، ولما استقرّت قالت : بلغ إليّ أن الذي وقع في الفخ رشأ الى جانبي أنفه جعبتان للسهام ».

وختمت كلامها بضحكة وزارية .

فأجابت أوجستينا أيضاً بضحكة قضائية . أجل جعبتان لا تفرغان من السهام . كلما راش سهماً منها بدا آخر

— أود أن أستهدف واحداً منها

فنادت أودينا وقالت الينا بذي العذار

فقالت أودينا : أف. وغداً بذي الشاربين وبعد غدٍ باللحية

فقالت أمازونيا : يقال إنه ابن كيوبيد . وقد جاء ليثير فتنة في بنطس لقلب الحكومة الأمازونية .

فقالت أوجستينا : وفي وسعه أن يشعل بنطس بنار الجحيم

ثمَّ عادت أودينا تصطحب الفتى . فرفعت أمازونيا نظرها فيه ثمَّ قالت : حاشا لله ما هذا بشر ، إن هـذا إلاَّ كيوبيد بعينيه . وقالت يقولون أنك ابن كيوبيد ، أحقيقي ، أنت كيوبيد بعينه ؟

فقال مبتسماً : إن لم أكن كيوبيد أو ابنه فإني من سلالته

— ويقال أنك جئت لكي تثير فتنةً في بنطس . أحقيقي هذا القول أم افتراء ؟

— على سيادتك التحقيق

والتفتت أمازونيا الى أوجستينا وسألت : بماذا اعترف هـذا الساحر العاثر الحظ ؟ سمعاً يا هذا . نحن هنا نجحد السحر والشعر أيضاً .

فقالت أوجستينا : عبث استخراج الدر من بحر بلا قرار

وسألت أمازونيا : من هي المفتونة الخائبة الأمل التي تشاطرك الجريمة يا هذا ؟

— أية جريمة ياسيدتي الجليلة ؟

— جريمة الحب العظمى

— الحب يا سيدتي فضيلة للإنسان حتى للحيوان ، فكيف تصمينه بوصمة الاجرام

— هو جريمة في بنطس . وجريمة مقدسة في غيرها . وعقابه عندنا شديد ، أعيذك منه

— لماذا الحب جريمة في بنطس دون غيرها

— لأنه خطر على استقلال المرأة . ألا تعلم هـذا من تاريخ الأمازونيات . أما علمت أنهنَّ لم يتحررن من العبودية للرجل إلاَّ بجحدهنَّ الاله كيوبيد وصد سهامه . أولا ترى انه حيث يباح الحب تكون المرأة أمةً للرجل الجائر ؟

— لا يا سيدتي حيث يباح الحب تكون المرأة محبوبة والمحبوب معزور . وأما حيث تكون المرأة أمة للرجل فلان الحب قتيل وكيوبيد دفين

— ألا ترى أننا نحن الأمازونيات مستقلات لأننا نكفر بكيوبد اله الغرام ؟ آه يا للغرام كم أشقى قلوباً .

فقال الفتى محتجاً : أأنتنَّ مستقلات ؟ لا وربي . ما أنتنَّ إلاَّ « عبدات » رقيقات اسيرات لهيكلكنَّ ، منسحقات تحت أقدام كهنوته . لستنَّ معتوقات كما تظنَّ ولا حرَّات

كما تعتقدنَ، ولا تفهمنَ معنى الحرية.

— ما هي الحرية التي تتبجح بها؟

— هي تلبية نداء الطبيعة بلا كبت ولا قمع. الطبيعة تعزف ونحن نغني. نحن نحب والطبيعة تضحك لنا. نحن ننظم الشعر والطبيعة توحي لنا الخيال الجميل. نلحن والطبيعة قيثارتنا. ماذا عندكنَّ، من هذه المطربات المعجبات يا من تدَّعين الحرية والاستقلال؟ عندكنَّ أوتار بلا أنغام وأشعار بلا ألحان، ووقع بلا رقص، وسماء بلا شموس ولا أقمار. ما أنتنَّ حرَّات حتى ولا رقيقات بل أنتنَّ رمم أمواتٍ، وأصنام بلا حياة. أنتنَّ بنات الطبيعة وقد خرجتنَّ على الطبيعة. مهما تمردتنَّ عليها تبقينَ فيها تحت سلطانها. فاذا كنت ياسيدتي تعملين لخير الأمة الأمازونية وسعادتها ومجدها فشيدي هيكلاً فخماً لكيوبد في بنطس تحج اليه الأمازونيات مع قرابينهنَّ جهاراً، حيث تحل عليهنَّ نعمة الحب السعيد.

وكانت أمازونيا وأوجستينا مصغيتين متهللتين كأنهما تسمعان أنشودة الغرام على قيثارة هلاس، ومحياهما يطفحان بشراً. فقالت أمازونيا: وي وي. كأني لم أجيء الى هنا لكي أحقق، بل لكي أسمع كرازة بعقيدة الحب

— أجل يا سيدتي. الحب ينبوع السعادة والسرور. والقلب بلا حب كالغصن اليابس. هو أول الأغصان التي تتحوَّل الى رماد اذا لفحها اللهيب، وأول ما تنقصف إذا كسحتها الريح. وأما القلب المفعم حبًّا كالغصن الذي تحميه رطوبته من الاحتراق وتنقذه مرونته من الانقصاف، بل هو الغصن الرطيب الذي تكسوه أزاهره في الربيع، وتثقله ثماره في الصيف.

— كفى يا هذا ما نحن في مباراة أشعار. دع هذا الهذيان.

فقاطعها قائلاً: أعلم يا سيدتي أنك لا تحسين ما أقول، فلو كان الى جنبك زوج وفي حضنك طفل لكنت تفهمين هذا الهذيان. ما أنت إلاَّ الغصن اليابس الذي ينقصف من هبوب ريح هذياني.

— كفى كفى. إذن حقيقي انك ابن كيوبد، وقد جئت لكي تضرم نار فتنة هنا.

— إذا كانت الدعوة الى عبادة كيوبد تسمى فتنة فقد صدق القول انى جئت لكي أطلق النساء الأمازونيات من أسرهنَّ الى ساحة حريتهنَّ، وأرشدهنَّ الى كيفية استعباد الرجل بالحب والاخلاص.

— صه لقد انجلى لنا جرمك بشهادة لسانك. فلا تعفى من العقوبة إلاَّ إذا كنت تبوح باسم شريكتك فيه.

— استنكف جداً أن أشتري العفو بشهادة زور

— على من تعتمد في انقاذك من الحكم الرهيب؟

فقال الفتى باسماً : على سهم من سهام كيوبد الهي

— لا حول لكيوبد ولا طول في بنطس .

فقال — يرمي سهامه من جاريجاريا فتقع في قلب بنطس

ووقفت أمازونيا كأنها غاضبة وقالت باسمة : يا سيدة القضاء ان لهذا الفتى صلة بمكيدة هائلة . فاذا لم يعترف بها لكي يكافأ بالعفو فلا بد أن تحكمي عليه بالموت الأحمر أو الأسود . السلام عليك

فقالت أوجستينا واقفةً :لقد صدر الحكم يا مولاتي

وخرجت أمازونيا ظافرة مرحاً ومترنحة أسفاً .

— ٧ —

وما أن خرجت رئيسة الحكومة أمازونيا حتى دخلت أودينا وفي يدها رقّ وقالت: رسالة من الهيكل يا سيدتي ردّ لرسالتك

ودفعت الرق لأوجستينا وخرجت توًّا

وفضت أوجستينا الرق . وقرأت :

« من رئيسة الكاهنات الى حضرة سيدة القضاء .

« عندي في الهيكل خمس لاجئات لأسباب مختلفة . وبعضها مجهولة .يكتمنَ ذواتهنّ وليس للهيكل أن يبتزها منهنّ ابتزازاً . فأرجو أن ترسلي المعتقل الى هنا عسى أن يتعرّف على حبيبته ان كانت بينهنّ » .

وفكرت أوجستينا مليًّا،ثم كتبت الرد هذا :

« سيدتي الجليلة رئيسة الكاهنات . حسب ايعازك أرسل اليك المعتقل لكي تتحققي صدق دعواه . ثم أرجو أن ترديه الى دار القضاء بحيث لا يكتشف أمره أحدٌ »

ثم استدعت أودينا وأمرتها أن تأخذ الرسالة مختومة وذلك المعتقل الذي قبض عليه في الفندق الى الهيكل .

وما إن خرجت أودينا حتى دخلت جورجيا رئيسة وصيفات الملكة.فبغتت أوجستينا وقالت : خيرٌ ان شاء الله .

— جلالة الملكة قادمة الآن متنكرة لكي تحقق مع الفتى المجرم العنيد الذي صدر

الحكم عليه . يجب أن تخلي دار القضاء من الأنس والجن لكيلا يعلم أحدٌ بوجودها هنا . استحضري الفتى واحبسيه في هذه الحجرة الى أن تدخل جلالتها عليه من غير أن يعرف من هي التي تحقق معه . لعلها تستطيع أن تستخرج سرّه من أعماق قلبه .

ألقت جورجيا هذه الرسالة وانثنت راجعة من غير أن تسمع كلمة من سيدة القضاء . فاضطربت أوجستينا وانهمكت واستخرجت الفتى بنفسها من الحجرة السرية وقالت : إني بريئة من دمك يا هذا، لقد حاولت انقاذك . ولكن عنادك جنى عليك . بقي لك خيط ضئيل من الرجاء ، ان شئت أن تتشبث به . إني تاركتك الى المحققة الأخيرة قبل تنفيذ الحكم . فعسى أن ترعوي وتربأ بنفسك .

وخرجت وأقفلت الباب وراءها . فجعل الفتى يخاطب نفسه قائلاً : إني أعتصم بغوث إلهي كيوبد من هؤلاء المرائيات اللواتي يعبدنه بقلوبهن ويلعنّه بشفاههن ، قبل أن يرميني بسهم واحد مُدْمٍ .

— ٨ —

ما هي إلاّ هنيهة حتى انفتح الباب بغتةً ودخلت الملكة بثوب عاميةٍ ، ثم ارتدّت مذعورة لما وقعت عيناها على عيني أفريدوس وأجفلت إذ رأت عذاره . وترنّحت واهية القوى . وأما أفريدوس فبهت واختبل، لأنه لم يكن البتة يظن أن الملكة تأتي الى دار القضاء للتحقيق .

وبعد لأيٍ قالت وهي تتبينه : ويحي . أأنت المعتقل ؟

فقال أفريدوس : بلى أنا هو الذي لم تجد الملكة أفضل وسيلة لنبذه إلاّ أن تلقمه لأنياب القضاء العاتي .

فحملقت فيه ذاهلةً : ويلي ! وأغلالٌ في يديك وعنقك ؟

وأمسكت السلسلة كأنها تتحقق .

— نعم . هذا هو جزاء اليدين اللتين كانتا تضمان هذا الهيكل الملائكي الى الصدر المتدفق غراماً لكي يرتوي من سعادة الحب الطاهر .

فقالت الملكة متفجّعة : وسجن أيضاً في كنّ المجرمات ؟

— وهل غير كنّ الكلب أليف للعاشق الذي جعل صميم فؤاده سريراً للملكة تتقلب فيه على وثير الحب

فقالت وكأنها لا تفهم ماذا تقول وجالت كالمجنونة : أيمكن أن يكون هذا قضاء الهيكل

— يا للمكر . أتعزين هذه النقمة لقضاء الهيكل وأنا ماثل في دار قضائك أستوحي كيوبيد إلهي أن يلهمني أجوبة التمويه التي لا تستفيد منها سيدة القضاء شيئاً يقرب الظن الى الملكة

فقالت وقد لطمت خديها وتركت كفيها عليهما : واحرباه أهو الغدر الغشوم أم غضب الآلهة ؟

— لا هذا ولا ذاك . وانما اتخمت الملكة من وليمة الحب فرامت أن تغير ألوان الطعام فقذفت بالبقية الباقية من طعام الوليمة الى دار القضاء لكي تحرقها هذه في فرن الاجرام

— صه: كفى تقريعاً لي في إبان أزمتي ويأسي

— وي ! أزمة ؟ : حبيب الملكة العزيز بالأمس أذل المجرمين اليوم . وهو يهيأ ليقدم أضحية على مذبح الانتقام من ملاك الغرام

صمتاً عن هذا العتاب المر . كيف اعتقلت وعهدي بك في قصر الصيد تنتظرني

— اذا كنت غبيًّا صابراً على وعدك لموافاتي الى قصر الصيد فقلبي ليس غبيًّا ولا يطيق صبراً . وإذا كان جسمي طينة حقيرة لا تشعر بالذل فنفسي سماوية لا تحتمل الهوان . وإن كانت سلالتك ملكية فسلالتي الكهنوتية ليست أحط منها . ما كان إقصائي عنك يكلفك سوى إعراضة واحدة فلا تعودين بعدها ترين وجهي إلى أن أقضي بداء غرامي المبرح

— ويك حسبي هذه الكارثة فلماذا تضاعف وقرها على نفسي بهذا التقريع ؟ قل أين اعتقلت ؟

— على جسر نهر ترمودون

— وكان القمر .....؟

— في أبان خسوفه .

فترنحت الملكة وهي تقول : ويحي . ويحي . الويل . الويل . . . ما الذي جاء بك الى الجسر وقد أمرتك أن تنتظرني في قصر الصيد

— القلق عليك والشوق إليك

— الشوق فهمته . والقلق لماذا ؟

— لأني فهمت أنك عدلت عن الصيد . فخفت أن يكون قد ألمَّ بك حادث سوء

— لم أقل لأحد إني عدلت عن الصيد . فما الذي أقام الشك في ذهنك بوعدي أن أوافيك ؟

— سيدونيا حارسة القصر، وكانت أول من لمحت الى عدولك عن الصيد بدعوى طروء مشاغل سياسية .

فقاطعته الملكة : تبًّا لها . كيف تقول هذا ولم أوعز به لها ولا لأحد ؟

— طبعاً رابني قولها فبرحت مدَّعياً لها إني ماضٍ الى الصيد ومؤكّداً لها أني سأعود مساء حتماً . ولكني توجَّهت الى جهة العاصمة أتنسَّم أخبار الحقيقة عن قدوم حاشيتك . فما رحلت مرحلةً إلاَّ تسقطت من أنبائك خبر عدولك عن الصيد . وما زلت أتقدم وأتنسَّم هذا الخبر بعينهِ إلى أن وقعت في الفخ الذي نصبته لي على الجسر حيث اعتقلتني ٤ شرطيات شاهرات الخناجر البرَّاقة عليَّ . وجرَّدنني من سلاحي وجئن بي الى السجن . فماذا تظنين يخطر لي سبباً لاعتقالي ؟

وكانت الملكة شديدة الاضطراب والحنق وقالت : ولكني أرسلت ملدافي بعدك لكي تؤكد لك أني ذاهبة الى قصر الصيد، على قصد أن أتأكَّد أنك منتظرني . فعلمت ملدافي من ميدونيا إنك متغيب في الصيد فتركت لك معها خبر ازماعي على الذهاب الى القصر وإيعازي بأن تبقى فيه منتظرني . فلو رجعت أدراجك لوجدت أوامري مطمئنتك. فلا أدري كيف تسرعت .

وتفجعت باضطراب شديد وهي تقول . الويل الويل الويل .

وأفريدوس لا يفهم ما معنى هذا الويل لأنه لم يعلم بخبر نبوءة الهيكل ولا رامت الملكة أن تنفره بهذا الخبر . فقال حينئذٍ : أي ويل أعظم من أن أفهم إنك أوعزتِ باعتقالي لأن وعدك الكاذب باللحاق بي لم ينجح في اقصائي .

فصاحت الملكة كالمجنونة : الويل الويل . والفجيعتاه ! لم أقل إني عدلت عن الصيد . فكيف انتشرت هذه الأشاعة الكاذبة ؟ لا ريب إنها من تدابير الإلـه لكي تتم نبوءة الهيكل ، فواحرباه وانكبتاه .

وما زال أفريدوس لا يفهم سر هذا التفجع والويل فقال :

— ماذا كانت نبوءة الهيكل ؟ لم تخبريني بها .

— يا للهول . كانت عبور رجل على الجسر حين خسوف القمر .

فقهقه أفريدوس وقال : ما هذه نبوءة ، إن هذه إلاَّ مكيدة من كاهنات الهيكل .

— اذا كانت هذه المكيدة قد أتقنت هذا الاتقان الغريب العجيب ، فالكاهنات أعظم من الآلهة . ولذلك يجب أن نخشى غضبهنَّ .

— ان تطيرك بتخريفهنَّ ساعد مكيدتهنَّ . أو ان مكيدتهنَّ أنتجت وهمك الذي

وافق تدجيلهنّ . لو لم توعزي لي أن أسبقكِ الى القصر ما حدث عبوري على الجسر بتاتاً ولتمّ خسوف القمر وانقضى حين لا أزال في قصرك هنا عبد غرامك وأسير بهائك.

— ولكني لم آمرك أن تذهب الى قصر الصيد على الحدود إلاّ لكي أفسد نبوءة الهيكل .

فقال أفريدوس مقهقهاً : — ياله من افساد للنبوءة ! ان قصر نظرك أفسد إفسادك لها

فقالت متنهدة : — لا حيلة في تدابير الإلـه الناقم على غرامنا ، أعني التدابير التي أتمّ بها نبوءة الهيكل . ويلي لقد نفذ المقدور .

— إذا صدقت عقيدتك فقضاء الـهك لا مردّ له . ليت سيدة القضاء أفهمتني ولو تلميحاً عن نبوءة الهيكل فكنت أرجوها أن تستنزل كل ويلات غضب الاله عليّ لكيلا يقع منها شيء لا على العرش ولا على الأمة .

— ويحك . هذا هو الويل الأعظم الذي أبذل كل شيء لكي اتداركه . آه . لاأدري ماذا أفعل . عدمت الحيلة . ونضب معين الدهاء .

— لماذا هذا التفجع يا سيدتي ، ولم تقع عليك شبهة

لأني لا أستطيع أن أهرّبك من غير أن أثير الشبهة بي .

— لا أهرب ولن أهرب .

ولا أستطيع أن اختلق مبرراً لاطلاق سراحك

— اليس عجباً أن تستطيع سيدة القضاء ما لا تستطيعه الملكة ؟

فأجابت الملكة متغيظة : ماذا تستطيع سيدة القضاء ؟

— تستطيع أن تتحل المبرّر لإطلاق سراحي . تزعم أن التحقيق لم يسفر إلاّ عن طيش هذا الفتى ورعونته ، لأنه لم يدخل الى بنطس متنكراً إلاّ لكي يشاهد عاصمة الأمازونيات .

— أأوجستينا قالت هذا القول ؟ . إذن لماذا حكمت عليك ؟

— لأني لم أقبل شروطها .

فقالت الملكة مرتعشة : ماذا كانت شروط تلك الماكرة ؟

— ماذا تكون شروط المرأة التي كان في قبضتها فتىً تداعبه كما تداعب الهرّة الفأرة؟ أو بالأحرى كما تداعب الغزالة الغزال .

— وي وي أحقيق أن تلك الماكرة كانت تنوي أن تفعل ما تقول :

— لا أدري ان كانت تستطيع التصنّع الى حد أن تحملني على تصديق وعدها .

وكانت الملكة تفكر مليًا ثم قالت : يا لمعاندة القدر. كان القدر كالسيف ذي الحدين يجرح من الجانبين . أنا أبحث بالتشديد في التحقيق لأني لم أكن أعلم أن القدر رماك في يد القضاء . وأنت تمردتُ على قلب متلهف . فاتفق الأمران على قضاء صارم .

— هل كنت تعذرين مطاوعتي لمساومة أوجستين لو علمتِ إني أنا الواقع فريسة بين براثن القضاء . وان نجاتي تتوقف على قبولي شروطها ؟

فقالت مرتبكة : — نعم ... لا بل . لكن لا بأس . ماذا كان في الأمر لو قبلت ثمَّ حنثت ؟

فقال افريدوس مستهجناً : أوه لو كان الحنث شيمتي أفما كان التحقيق الدقيق خطراً عليك ؟ إذ يحتمل أن أخون عهدك أيضاً لكي أنجو من الموت.

— أوه . ويلي . وهذا ما يجعل الموقف الآن أعقد من عقدة الاسكندر. وا نكبتاه ! من لي بسيف الإسكندر لحل العقدة ؟

— الأمر بسيط . لا تهتمي بأمري . دعيني لرحمة القدر

— ويلاه . كيف أؤمّن للقدر وقد بدرت بادرته الهائلة . الحكم بالإعدام . لا أستطيع تصوره

— اعتبري علاقتنا الماضية حلماً قصيراً وانقضى

— كيف ينقضي وهو مطبوع في مخيلتي ولا يمكن الزمان أن ينسخه ؟

احسبي حساب الموت مقدَّراً لكل إنسان ! واتركيني لنقمة القضاء قبل أن تثار الظنون .

فقالت مضطربة : مستحيل أن أسلمك لنقمة القضاء

— لم يبقَ إلاّ هذا السبيل لإنقاذ حياتك وعرشك .

وما الجدوى من الحياة بلا حب . وما لذة العرش بلا حبيب . وا لوعتاه . لا أسلمك للقضاء ولا لنقمة الهيكل إلاّ وأنا معك أتلقى هذه النقمة الهائلة بصدري لكيلا أراها منقضّة عليك . آه دعني أعزي النفس في إبان يأسها .

ثمَّ طوّقت عنقه بساعديها وقالت . سأستكد قريحتي لاختراع وسيلة للفرج .

ثمَّ فتحت الباب واستدعت أوجستينا وقالت :ردي هذا المعتقل إلى كنه وعودي إليَّ

فانحنت أوجستينا وقادت المعتقل الى الحجرة السرية حيث كان حبيساً . ولما عادت قالت الملكة يلوح لي أن لهذا الفتى سرًّا عميقاً . ولا بدَّ من استخراج سره من صدره لذلك يؤجَّل إعدامه لئلاّ يدفن سرُّه معه . انتظري مني أمراً باستدعائه إلى قصري عسى

أن أوفّق الى حيلة لاستقصاء سره

— الأمر أمرك يا مولاتي . توفقنا الى القبض على أسير آخر يا مولاتي .

— أسير آخر؟ ما ذا علمت من أمره ؟

— ادّعى أن حبيبته فرّت من اضطهاد أهلها لأجله ولجأت إلى الهيكل . فخاطبت رئيسة الكاهنات بشأنه عسى أن تكون دعواه صادقة . فطلبته الرئيسة الى الهيكل لكي تعرضه على اللاجئات .

فبدا على الملكة بشرٌ وقالت : من يدري ؟ ألا يحتمل أن يكون هذا هو المقصود بنبوءة الهيكل . أود أن تشدّدي النكير في التحقيق معه ولا تثقي بدعواه هذه . فما هي إلاّ للتمويه .

وخرجت الملكة . وما لبثت أن طلبت ذات العذار إلى قصرها فأرسلته أوجستينا مخفوراً وهي تقول له : جرّب سهامك حيث أنتَ ماضٍ

الفصل الرابع

ننتقل الآن الى الهيكل حيث نشاهد ألاعيب رئيسة الكاهنات في هذه الحوادث التي أحدثتها نبوءة الهيكل . وهناك نرى الرئيسة واقفة لدى المذبح تتمتم . وإذ دخلت عليها ملفينا كاتبة سرها . ودفعت إليها رسالة قائلة : هذه الرسالة كانت مع شرطيتين تحرسان معتقلة مغلولة .

فضت الرئيسة الرسالة التي أرسلتها إليها سيدة القضاء أوجستينا مع المعتقل الآخر كما علم القارىء . ثمّ قالت لملفينا : أدخلي المعتقلة إلى هنا .

فأدخلتها ملفينا وأمرتها الرئيسة أن تنتظر مع الشرطيتين أوامرها . ثمّ رفعت اللثام عن وجه الأسيرة . وارتدت إلى الوراء مبغوتة متجهمة . إذ رأت وجه الرجل المتنكر المعتقل وقالت . من ؟ الكاهن جيهول ؟ . ويحك ! معتقل ؟ لماذا ؟ وأين ومتى !

— في فندق التاجرات في هذا المساء .

— لماذا عدت إلى الفندق ؟

— لكي أتأكد اعتقال القمر الساطع

— أما تأكدت ارتداده قبيل الخسوف ؟

كنت أحتال لحمله على الارتداد الى أن اقترب الى الجسر

— إذن لماذا فضولك في الدخول إلى المدينة ؟

— لأني لم أتأكد إن كان قد اعتقل حتى ولا ان كان قد عبر

— كيف كانت صلتك إذن ناقصة ؟

— لم تكن ناقصة بل كانت متقنة جداً . رشوت سيدونا حارسة قصر الصيد بسهم من سهام كيوبيد . وأوعزت إليها أن تدع افروديت المزيفة تفهم ان الملكة لا تنتظر أن تأتي للصيد، لأنه يقال أن مشكلة سياسية نشأت حديثاً فأشغلتها . فعاد المتنكر باسم الوصيفة افروديت مدّعياً أنه سيمضي نهاره في الصيد وسيعود حتماً في المساء . وكنت أسبقه وأنا أزرع أمامه في مراحل طريقه مثل ذلك القول الكاذب الذي يفهم منه أن الملكة عدلت عن الصيد لمشاغل سياسية طرأت عليها . إلى أن رأيته في أول غلس الليل على ظهر جواده يجوس القرية التي قبل الجسر . وبعد ذلك ضيّعته . ولم أعد أدري هل عبر الجسر أم لم يعبره . ثم عدت إلى قصر الحدود . فما وجدت له أثراً، فرجعت أمس الأمس ودخلت المدينة في الغسق، ونزلت في فندق التاجرات لكي أتجسس عسى أن أظفر بخبر عن اعتقال فأطمئن .

فقالت الرئيسة هازئة : مرحى مرحى . لقد ظفرت بأغلال اعتقاله هذه .

وأمسكت سلسلة يديه وهزّتها لكي تجلجل .

فقال جيهول : كنت قلق النفس يا مولاتي ولا أطمئن إلاّ بالعلم باعتقاله

— أتكون بكراً لرئيس كهنة ولا تطمئن نفسك لنبوءة الهيكل ؟ أم تظن أن هيكل بنطس أقل علماً بالغيب من هيكل جاريجاريا ؟

عفواً يا مولاتي . إن جهادي في سبيل اقتناص عرش جاريجاريا من وارثه الطائش الأهوج طوّح بي الى هذا المصير

— هذا جزاء شكك بقدرة هيكل بنطس على معاقبة الحمق والطيش . وعلى وضع الحق في نصابه الذي يحتفظ به . إن هذه الأغلال جزاء ضعف ايمانك بوعد هيكلي أن يؤيد هيكلك في احباط مكيدة ضم العرشين وتمزيق الدستورين ! ستبقى هذه الأغلال في يديك وعنقك الى أن تحبط المكيدة وينقلب الأحمقان .

— قد ينفذ فيّ حكم القضاء قبل الحبوط المرجو . أفليس في وسعك يا مغيثتي أن تخلقي لي عاشقة من اللاجئات الى هيكلك لكي تؤيد دعواي وتسوّغ عذري في دخولي الى المدينة متنكراً ؟

فأجابت الرئيسة بأنفة وسخرية : إن اللسان الذي ينطق بالنبوءات ينعقد عن النطق بالأكاذيب يا ذا القداسة الكهنوتية .

فقال جيهول وهو يخفي هامته ذلاً وانكساراً : إن حكمك يا سيدتي أشد وقراً من حكم القضاء . وأنا الآن في حاجة شديدة لنصحك في ورطتي هذه لا الى قضائك الصارم .

ليس عندي نصيحة مقدسة . فمالك الاّ أن تستصبح اله الشر عسى أن يلهمك الاصرار على كذبك الى أن ينسج لك القدر مخرجاً من هذا المأزق .

ثم ردت اللثام على وجهه وصفقت فدخلت ملفينا وأمرتها أن ترد المعتقلة (جيهول) الى الشرطيتين اللتين جاءتا به ثم أن تعود اليها، وألاّ تفتح لهن باب الخروج الاّ متى أمرت بهذا . ولما عادت أمرتها أن تستدعي اللاجئة ذات العصابة السوداء . ولما مثلت ذات العصابة السوداء بين يديها قالت لها ، لست احتم عليك أن تعترفي بهويتك إذا كنت تأبين الاعتراف بها . وإنما أسألك سؤالاً ربما كان من صالحك الصدق في الجواب عليه .

فانحنت الفتاة وقالت متذللة : لا بأس يا مولاتي إذا كان الجواب لا يقتضي أن أطلعك على بغيتي من الالتجاء الى هيكلك فأصدقك فيه .

— هل كنت مضطهدة لأجل حبيب فلجأت الى هيكلنا محتمية من الاضطهاد .

فأجابت الفتاة متنفسة الصعداء : نعم

هنا شابٌ متنكر معتقل فادّعى أن له حبيبة لجأت الى بنطس من جراء الاضطهاد لأجله فهل تؤيدين دعواه لكي تنقذيه .

فأجابت الفتاة بلهفة : أحقيقي ؟ أظنه حبيبي . أؤيد دعواه . أين هو ؟

فضحكت الرئيسة على الرغم من عبوستها : أسمح لك أن تريه من غير أن يراك لئلاّ يكون هذا الخبر قد أضلّ قلبك . ألقي النقاب على وجهك وانظري من خلال السجف الى أن أعرضه على نظرك .

فاستترت الفتاة وراء ستار الأقداس وهي توصوص والنقاب على وجهها ثمّ خرجت الرئيسة وعادت بجيهول . ورفعت اللثام عن وجهه، وهو لا يدري لماذا . ثمّ ردت اللثام على وجهه وخرجت به . ثم عادت . فبدت الفتاة من وراء الستارة وقالت :

— لا لا يا سيدتي . لست أستطيع هذا التزوير على نفسي

— ولكن ما قولك إذا كان يستطيع انقاذك من الاضطهاد ورد حبيبك لك .

— لا أستطيع هذا التزوير ولو كان الرجل يستطيع إنقاذي . ليس هذا حبيبي الذي يأبى هذا التزوير عليّ لأسباب أنا أعلمها .

— هل يمكنك أن تخبريني هذه الأسباب

— لا يا مولاتي لقد قلت لك من أول الأمر أني لا أستطيع جواباً لما قد يفضح أسراري .

لا بأس . فلا أحرجك . عودي إلى خدرك متمتعة بحماية الهيكل .

ثمَّ نادت ملفينا وقالت لها : خذي هذه الى خدرها ولتمض الشرطيتان بمعتقلهما .

ثمَّ قالت لنفسها : وسيبقى في عقاله إلى أن يُشهد اقتران القمرين وانقضاض الويلين .

لله من دهاء هذه الكاهنة

الفصل الخامس

— ١ —

نعود بالقارىء الآن الى قصر الملكة وندخل به إلى بهو رحيب مستوفي الرياش كما يمكن أن يتصوَّر القارىء قصر ملكة . والشباك المطل على حديقة غناء يسرح فيها النظر بين نجوم الأرض ثمَّ نجوم السماء في الليل، وشمس النهار صارت فوق الأفق . ولو كان لفلكي ذلك الزمان منظار عظيم يقرّب مسامير السماء لرأى القمر مظلماً على مقربة من الشمس ويكاد يهجم عليها هجوم العاشق الى حبيبته .

من ذلك البهو باب خاص يدخل منه الى حجرة الملكة . وفي هذه الحجرة كانت الملكة جالسة على مقعد طويل عريض . وقد دخلت عليها جورجيا أولى الوصيفات وقالت ان أوجستينا سيدة القضاء تستأذن بالإمتثال .

فأمرت أن تدخل وقالت لنفسها : ما وراء هذه الداهية من خبر شؤم .

ودخلت أوجستينا وانحنت فتصنعت الملكة الابتسام وقالت . هل اقتلعت ولو حصاة من مخ ذلك الشاب الهرم الذي يدعي أن له حبيبة لاجئة إلى بنطس .

— ليس في ذلك المخ المائع إلا صلصال لا يصلح للبناء

— أما عرفت من أي طينة ذلك الصلصال

— لا أرى إلاَّ أنه من طينة الأكواخ .

— مهما كانت طينته قذرة فلابدَّ أن تكون ذات سلالة . أما تفل اسماً له ؟

— بل تفل اسم سدرون وهو اسم أفرغ من عقم أمله بالعثور على حبيبته اللاجئة الى بنطس .

— ألا يمكن أن يكون هو القمر الساطع المقصود بنطق الهيكل .

فقالت أوجستينا كاظمة ضحكتها . مولاتي لم يكن جو بنطس مظلماً في زمن من الأزمان كما هو مظلم منذ طلع هذا القمر الأسود

— لا يعني نطق الهيكل سواه . فيجب عصره في التحقيق إلى أن يتضح كل ما في صدره من أسرار .

— مولاتي . يستحيل أن يكون هو المقصود بنطق الهيكل وإلا لقبضت عليه الشرطيات . إن نطق الهيكل أصدق على الفتى ذي العذار منه على ذلك الشاب الدميم . فإن كان ممكناً تحت تمثال لمكيدة من هذا الشخص الدميم فمن ذي العذار ينحت برج مكايد .

فامتعضت الملكة وقالت متجهمة : — لقد أفرغت جعبة الحيل في استخراج أسرار ذي العذار فوجدت مخه رقاً منفوخاً خالياً إلاّ من الطيش والحمق والرعونة .

فهزت أوجستينا رأسها هازئة وقالت : طبعاً لا تصدقين جلالتك تظاهره بالنبالة . فإن وراء الأكمة ما وراءها .

ثم قدّمت لها رقاً وقالت : تفضلي يا مولاتي شرّفي وثيقة الحكم بإعدامه بإمضائك الشريف

فذعرت الملكة من هذه المفاجئة وقالت : ويك : لماذا هذا التعجل وإلى الآن لم يثبت الجرم على الفتى ؟

— ذلك أمر جلالتك وقد تسجل الحكم .

كادت الملكة تتفتت من شدة الغيظ، وبذلت مجهوداً عصبياً عظيماً في كظم غيظها. وفكرت في إبان يأسها ثم قالت مرتبكة : — لم يزل عندنا متسع من الوقت للتحقيق معه عسى أن نبلغ إلى ضميره .

— لقد نفد كل أسلوب للتحقيق يا مولاتي ، ولم يبق إلاّ أحد أمرين . اما تشريف الحكم بامضائك ان كان مستطاعاً ، أو اصدار العفو عنه إن كان مرغوباً .

قالت هذا القول وهي تبتسم ابتسامة لؤم ، كأنها شاعرة بموقف الملكة الحرج . فسخطت الملكة وقالت : يستحيل أن يعدم قبل أن يبوح باسم المرأة الشريكة له في جرمه. ولكن هل تجدين مبرراً للعفو ؟

— ربما كان المبرر ممكناً يا مولاتي قبل أن صارت العاصمة تغلي بثورة الأمة كالقدر على وطيس حام . أصبحت العاصمة الآن كالمسرح الذي يتوقع المشاهدون فيه ظهور الأبطال بذاهب الصبر . الأمة تلح باصدار بيان عن أسرار هذا الاعتقال

فقالت الملكة مرتبكة : رأيك بالبيان ؟

— لايخمد الأفكار الثائرة إلاّ التصريح بإقرار الفتى عن المرأة التي يتصل بها، أو إعلان الحكم عليه بالإعدام لإصراره على النكران

وقد أحست الملكة أن أوجستينا هذه وزيرة القضاء تبتغي أن تزيد موقفها تحرّجاً . ولكن الملكة وجدت منفذاً للفرج في قول أوجستينا وقالت : إذاً دعيني أحقق معه مرة أخرى فأعرف كيف أحج، ولا فائدة من اعدامه إذا بقي سرُّه دفيناً في صدره . أتركي لي صورة الحكم هنا ريثما انتهي من التحقيق الأخير .

— وإنما دبري يا مولاتي تدبيراً ناجعاً يسكن هياج الأمة . فالأمة الآن مثرثرة . وعما قليل مزمجرة . ونمّ ثائرة. لقد أخلصت البلاغ والنصح يا مولاتي . إذنك بالانصراف

— ٢ —

وما ان انصرفت أوجستينا حتى نقر الباب الأوسط المؤدّي الى داخل الجناح ، ولا يدخل منه أو يخرج إلاّ خاصة الملكة . فنهضت الملكة وفتحت الباب وبدت منه أمها العجوز. ولما قادتها الى مقعدها قالت الأم : أين نحن من الويل الأول الآن يا بنتي .

فقالت الملكة ناحبة متوجعة متواقعة على ذراعي أمها الضريرة : نحن فيه الآن يا أماه

فقالت الأم مرتبكة : أفي هذا القصر موقعهُ ؟

— نعم يا أماه .

فقالت الأم : ويلاه . أتعنين أن المعتقل هو أفريدوس .

— هو بعينه .

— وويلتاه . أما قلتِ إن ملدافي أكدت لك أنه لا يزال منتظرك في قصر الصيد ؟

— إذا كان القدر معاكساً فلا ينجح الحذر. لقد ملَّ أفريدوس الانتظار في القصر ! فعاد لكي يتحرّى سبب ابطائي . فقُبض عليه وهو يمرُّ على الجسر وتمت فيه النبوءة . وا أسفاه ! .

فقالت الأم مضطربة : وأقرَّ الشقي بالحقيقة ؟ ؟

معاذ الله . فهو أنبل من أن يشرك غيره بجرمه .

— الحمد للإله . إذاً لم يقع الويل بعد .

— ويحي : أي ويل أعظم من أن يصدر الحكم عليه بالاعدام ؟

فقالت الأم متحمسة . نفذي الحكم عليه حالاً تداركاً لوقوع الويل الأعظم.

فأجابت الملكة ساخطة : يالكِ من ظالمة :

— أعليه أنت مشفقة أم على نفسك وعرشك . بالقضاء العاجل عليه خلاص نفسك ، وبهلاكه راحة قلبك .

— لله من قلبك الصلد الجامد أبالقضاء عليه خلاصي ؟ وماذا يبقى لي من سعادة بعد ؟

— يبقى لك عرشك الأسنى يا حمقاء

— يالك من ظالمة جائرة . ألا ترينَ أن العرش بلا حب ظلام دامس ، والعرش بلا حبيب ليل بلا بدر . والحياة بلا حب لا تختلف عن الموت إلاَّ بالملل والسأم . آه واشقوتاه !

— بئس غرامك هذا . إنك بهذا الجنون فاقدة العرش والحبيب جميعاً . وتنفيذ الحكم ينقذ أولهما وينقذك .

فقالت الملكة وكأنَّ بها نوبة جنون : ويحكِ لا أقنع إلاَّ بسلامة ثانيهما .

— سلامة أفريدوس تكلفك حياتك ياغبية . أتهرّ بينه . أتعفين عنه . كلا الأمرين يغضبان الهيكل عليكِ ويهيجان الأمة ضدكِ .

فارتمت الملكة على المقعد خائرةً وقالت : أماه دبريني في نكبتي . أين ذكاؤك . أين دهاؤك .

— لقد فقدت نصف ذكائي وثلاثة أرباع دهائي منذ تنازلت عن العرش لكِ بسبب فقد نظري . لو بقيت في عرشي عمياء لكنت في حكمي أحدّ منك بصراً . لقد بسطتُ لك تدبيري فلم تذعني .

فأجفلت الملكة : ماذا ؟ ان أنفذ حكم الاعدام بأفريدوس ؟ هذا مستحيل . مسكينة أنت . لقد حرمكِ إلهك نعمة الحب فصمَّ قلبكِ عن نبضاته . يجب أن يبقىَ أفريدوس ولو فقدت العرش . هل فهمت .

— وتفقدين حياتكِ أيضاً . وحياته لا تسلم . فنصيحتي الأخيرة . أن تضحي بواحد من الثلاثة خير من التضحية بالثلاثة معاً . حياتك وحياته والعرش . ضحّي بحياته يبقَ لك حياتك والعرش .

فسخطت الملكة سخطاً عظيماً وصرخت صراخاً شديداً : عني يا أماه . إذا لم يكن عندكِ غير هذه النصيحة التعسة فدعيني أتلقى الويل المنقضّ عليَّ بشجاعة الملكة .

حينذاك دخل أفريدوس من باب السر بثوبه الأمازوني . وقال : النصيحة الخالصة ما قالت أمك الموقرة أيتها الملكة . دعيني أمضي الى دار القضاء حيث أتلقى بسرور النقمة المنقذة لك من الويل .

فقالت الملكة بأمر محتوم : مكانك. الى بيت سرك . فللزمن رأي وفي صدره نصائح فعاد أفريدوس الى وجارهِ صاغراً ..

— ٣ —

وبقيت الملكة بعد خروج أمها وأفريدوس وحدها. ولو وضع ميزان الحرارة على جبهتها حينئذٍ لارتفعت حرارته الى الخمسين . تكاد تنفجر غمًّا وهمًّا . لم يعد القصر يسعها بل الجوّ لم يعد يتحمل حرّ أنفاسها . انتفخ رأسها حتى كاد يصطدم بالجدران حولها . عدمت الحيلة . لم تعد ترى بدًّا من التضحية بنفسها أولاً . وبعد ذلك يبقى أفريدوس والعرش في ميزان القدر الأعمى .

وفي إبان أزمتها طرقت جورجيا الباب ثم دخلت إذ سمعت صوت الملكة بالاذن

— مولاتي . هنا فتاة جاريجارية تتوسل الى إذن جلالتك بالامتثال بين يديك لأمر لا تريد أن تفضي به الى سواك .

فرفعت الملكة رأسها عن صدرها وقالت لنفسها : « عسى مع هذه الفتاة فرج » . ثم فكرت قليلاً ثم قالت : قولي لها إن الملكة مشغولة عن مقابلتك وإنما كلّفت رئيسة ديوانها أن تسمع سؤالك » . دعيها تدخل من غير أن تشعر أني أنا الملكة. بل يجب أن تعتقد أني رئيسة الديوان. حاذري ان تدعيها تفهم أني الملكة . هل فهمت أنت ؟ .

فهمت كل الفهم يا مولاتي . يجب أن تفهم أنكِ رئيسة للديوان وانك بأمر الملكة تسمعين سؤلها .

— حسن جدًّا .

ثم بعد قليل أدخلت جورجيا امرأة بثوب عادي كأثواب الأمازونيات وتركتها لدى الملكة ومضت . وانحنت المرأة قليلاً لدى الملكة، أو مندوبة الملكة . فسألتها الملكة: ما اسمك

— اسمي أنيدون

— لقد امرتني جلالة الملكة بأن اهتم بسؤالك جد الاهتمام لأنها مشغولة جدًّا فليس في وسعها أن تقابل أحداً في هذه الأيام . فماذا ترومين ؟

— شكراً جزيلاً لجلالتها ولك يا سيدتي . نمي اليّ أن الفتى المعتقل هنا في القصر يزعم أنه خاطر بنفسه في الدخول الى بنطس ليبحث عن خطيبته اللاجئة الى هذه العاصمة من اضطهاد أهلها بسببه . فهل تؤذن جلالتها أن أقابله ؟

— إن الدخيل المدّعي هذه الدعوى معتقل في دار القضاء. فهناك اطلبي مقابلته.

فقالت انيدون — رأيت ذلك المعتقل هناك فما هو فتاي يا سيدتي فاذا أذنت جلالتها لي بمقابلة الفتى الذي هنا انتفى كل قصد سيء من وجوده في هذه العاصمة وخرج منها بريئاً

— لا أظن أن هذا الفتى المعتقل هنا هو خطيبك. لأني لا اعتقد أن خطيب أية امرأة يخاطر بنفسه في الدخول متنكراً إلى بنطس لكي يبحث عن خطيبته وهو يعلم العقوبة التي يستحقها.

فقالت أنيدون باسمة: أعذر خطأ حكمك هذا يا سيدتي لأنك أنت أمازونية لا تعرفين ما هو الحب.

فقالت الملكة المتنكرة. أعرف أن الحب .. هو . هو. هو. ماذا؟

— هو يا سيدتي القوة التي تجعل المخاطرة حتى الموت في سبيل الحرص على الحبيب ألذّ من النصر في الحروب وأمجد من فتح الممالك وقنص العروش.

فقالت الملكة مدهوشة قلقة — هل أنت واثقة أن خطيبك يحبك هذا الحب؟

— إذا كان المعتقل هنا هو اياه فلا يبقى عند جلالة الملكة شك بأنه يحبني هذا الحب والا لما خاطر هذه المخاطرة. ولذلك يصبح ذنبه بسيطاً. وجلالة الملكة النبيلة القلب تصفح عنه، وتؤذن لنا أن نخرج من المملكة بسلام متمتعين بنعمة الحب

وكانت الملكة تسمع هذا الكلام وقلبها يخفق وجداً، وعصبها ينتفض حقداً أو غضباً. أيكون أفريدوس خادعها ويلعب عليها دوراً اذا صدقت هذه الفتاة فيما تقول؟ فتجلدت وقالت: هل تسمحين أن أقول لجلالتها من أية أسرة أنت لكي تتضح لها درجة سؤالك من الأهمية.

— هي أني من أسرة الكهنوت فهل تسمح الملكة؟

فقالت الملكة باضطراب يكاد يفضح قلبها: أظنها تسمح. ولكن لماذا تضطهدك أسرتك لأجله. هل هو وضيع الأصل.

— أرجو من سيادتك اعفائي من جواب يُطلب منه هو

— لعلّ جلالتها تشترط هذا الشرط للإذن بالمقابلة.

— إن الحب يا سيدتي كالموت يجعل جميع الناس سواء في المقام. فان كان أحدنا أوضع من الآخر ارتفع الى مقامه. الحب يرفع لا يضع يا مولاتي. ليتكِ تعرفين ما هو الحب لكنتِ تشعرين أن سماح جلالتها لي بمقابلة خطيبي أعظم فضيلة تتحلى بها الملكة.

أصبحت الملكة بعد اعترافات انيدون على نار. صارت تود أن تعلم الحقيقة من فم

أفريدوس فقالت : انتظري إذن خارجاً في الرحبة الى أن تسمعي ثلاث صفقات فتدخلين .

فخرجت أنيدون حسب أمر الملكة واستدعت أفريدوس على الأثر من حجرته . وسألته : هل ادعيت في التحقيق في دار القضاء أن لك خطيبة لاجئة الى الهيكل من اضطهاد أهلها بسببك ؟

— لم أدَّعِ شيئاً حتى ولا أني موجود في الوجود . ما كنت لقاء الأسئلة التي كانت تلقى عليَّ الاَّ كالعصفور الذي يفر قبل أن تقع عليه اليد التي ترميه بالحبوب

— هنا فتاة جاريجارية تزعم أن الفتى المعتقل هنا يدَّعي هذه الدعوى وتود مقابلته فهل تقابلها ؟

— أود أن أراها خلسة أولاً لأعلم من هي .

— هي في الرحبة، اختلس نظرة منها من خلال الباب .

فوصوص افريدوس من خصاص الباب ثم ارتد مبغوتاً وقال : أرجو أن تسمحي لي بأن أختلي بها اختلاءً تامًّا .

— إذن صفق ٣ صفقات فتوافيك .

ثم خرجت من الباب الآخر وقالت تكلم نفسها قلقة : أيمكن أن يخدعني ؟ وبقيت خلف الباب توصوص وتتسمع

وصفق أفريدوس ودخلت الفتاة . فقال مبغوتاً : أنيدون ؟ ويحكِ . ما الذي قذف بكِ الى عاصمة بنطس وأنت ابنة أحد كبار الكهنة المعزَّزة في خدرها .

— مثل نفس السبب الذي قذف بك اليها أيها الأمير .

— صه . صه . لست معروفاً هنا بالأمير فلا تذكري هذه الكلمة . كيف تعلمين أن السببين متماثلان ؟

— هل يكون لدخول فتى الى مملكة بنطس من سبب غير سبب الحب ؟

— وي . وي . هل أنت واثقة أن حبيبك تبعكِ الى عاصمة بنطس .

— بل أنا تبعته .

— أفي بنطس ملجأ العشاق الأمين ؟

— كلا . لا أجهل انه ملجأ خطر . وقد جئت لإنقاذه من الخطر الذي وقع فيه .

— من غشك بأنه هنا في القصر

— لم أنغش البتة

— أعلم أنه ليس هنا أحد سواي

— وإياك طلبت أن أقابل

— أنيدون . ماذا تعنين ؟

— لم تتح لي فرصة أبوح فيها لك بسهم وقع في فؤادي

فقال خائر القوّة كاليائس . آه . وآه : لعلك أشد مني تعساً بهذا السهم

— أتعد ذلك السهم تعساً وأنا أعده سعادة ؟

وكأن أفريدوس يخشى أن تكون الملكة متسمعة من خصاص الباب ، فجذب أنيدون إلى ناحيةٍ بعيدة وقال : لا ترفعي صوتك فللهواء آذان وعيون . انك لتعسة لأن الخصام الذي احتدم أخيراً بين الكهنوت والعرش في جاريجاريا أضاع عليكِ الفرصة التي كنت تتوخينها . آسف جدًّا إن الفرصة سنحت لكِ متأخرة يا أنيدون

لا بأس لم ينقص تأخرها من شعوري بالسعادة التي أتوخاها منها

— هذا الشعور الجميل لا يقل من أسفي يا أنيدون

— لم آت لكي أنتزع شيئاً عن غبطة قلبك يا سيدي الأمير

فأجفل افريدوس من كلمة الأمير وأشار لها بالكف عن ذكره . واستمرّت تقول : بل جئت لكي أتداركَ ما يمكن أن يثلم هذه الغبطة .

— ما الذي يثلمها فتتداركيه ؟

جئت لكي أبلغك أن جيهول ابن رئيس الكهنة كان يتتبعك متجسساً حتى الى هذه العاصمة .

فقال افريدوس منفعلاً متغيظاً : ويح ذلك اللئيم ! يتتبعني متجسساً ؟ ألا تبًّا له

— ألم تصدق بعد أنه وأباه اختلقا العداء بين دولتي بنطس وجاريجاريا وأوغرا الصدور بعد تصافيها ، لكي يقلبا عرش ابيك الملك ويتبوأ جيهول وتصبح أنت منفيًّا متشرداً ؟ فلما علم جيهول أنك متنكرٌ في بنطس انتهز الفرصة لتدبير المكيدة الهائلة ضدك ، ولهذا جئت لكي أنذرك قبل أن يتداعى عرشك ويهبط انقاضاً

وكان افريدوس ينتفض من الغيظ فقال ، شكراً . وهل جيهول الآن في هذه العاصمة ؟

— نعم . معتقل فيها بصفة كونهِ متنكراً . وأشعر أن الهيكل البنطسي يتحيز له لكي ينقذه من عقاب هذه الدولة لأنه إبن الكاهن الأكبر . والكهنة متضامنون في في كل مكان . وأما أنت فعلى مَ تعتمد في النجاة

— لا تهتمي بنجاتي ياعزيزتي . فما هي مطمعي . وأما إذا كنت أنت في حاجةٍ الى خدمة فقاطعته قائلة — لم أجيء لأجل نفسي بل لأجلك . فأستطيع أن أشهد مزكية دعواك

إذا كنت تدعي أنك ما جئت إلى بنطس إلاّ لتبحث عني لحمايتي من اضطهاد أهلي ، فادّع هذه الدعوى وأنا أزكيها وأؤكدها ونخرج كلانا سالمين

— أشكر قصدك : إنك تفترضين افتراضاً يستحيل عليّ أن أقبله

— لا تظن أني أتوسّل بهذا التدبير الى تقييدك بعهد . إني مقتنعة أن مرمى حظي أقصر جدّاً من مطمع قلبي . لست أبتغي مكافأة

— شكراً يا أنيدون . يستحيل أن أتذرّع إلى النجاة بواسطة العاطفة . لا تهتمي بأمر نجاتي . أنصح لك بالعودة الى خدرك الشريف الطاهر في دار كهنوت جاريجاريا عسى أن يقيّض لك كيوبيد حظّاً أسعد وأمجد . امضي بسلام

وتراجعت ذليلة يائسة منكسرة النفس متنهدة ثم انحنت وخرجت وأقفل الباب وراءها

— ٤ —

وما أن خرجت انيدون حتى دخلت الملكة منفعلة شديد الانفعال وقبضت على ذراعه وهزّته قائلة : — ويحك ! أعليّ أنا ملكة بنطس تلعب هذا الدور الهائل ؟

فأجاب افريدوس بكل برودة وبابتسام : أجل انه لدور غرام هائل . ياذات الجلالة . سينقش تاريخه على ضريحي كدرس عجيب للعشاق

— صه . أغرام خداع ينقش على ضريح أمير منتحل صفة الكاهن ؟ هل فقدت صولتك أيها الأمير حتى تتوسل بصولة الكهنوت الى فؤاد ملكة ؟ أم أن سياستك الأفّاكة امتطت متن الغرام لكي تضمن الفوز في المعركة وكسب العرش البنطسي

— تؤدة وحلماً يا مليكتي . لما رماني إلهي بسهم حبك وأنت متنكرة بثوب فلاحة في الصيد كنت أشعر أني واضع عرشي في حب فلاحة نابغة في الصيد . وما دريت أن إلهي جعل قلبي عرشاً لملكة . ولما أصاب ذلك السهم نفسه فؤادك كنت تظنين أنك باذلة نفسك في سبيل غرامك بفارس مغوار . فلما اكتشفت أن سهم إلهي الذي نفذ في فؤادي نفذ في فؤاد الملكة التي بين عرشي وعرشها خصومة أشفقت أن يدنس دم الخصومة ذلك السهم . وخفت أن تفسري ذلك الغرام الصادق بالتحايل السياسي . فانتحلت رتبة الكهنوت لنفسي دفعاً لهذه المظنة وتحاشياً لنفورك متريثاً الى أن تسنح الفرصة الملائمة لبسط الحقيقة لك طاهرة من الدنس سالمةً من لطمة الغش ... لدى دولة الغرام يا عزيزتي تضمحل دولة جاريجاريا ودولة بنطس . وفي عرش الهوى يا حبيبتي يفنى عرش بنطس وعرش جاريجاريا معاً . فإن كنت تحسبين انتحالي

صفة الكهنوت خدعاً لك في فن السياسة، فهو إخلاص في فن الغرام. فسرّي خداعي هذا بما تشائين اللهم إلاّ الخداع في الحب. إني أحبك. إني أعبدك، سواء على صهوة الجواد أو في حقل الفلاحة أو على العرش. لم يبق العرش ولا الحكم مطمعي. فقد التهم الحب كل مطمع. فإذا تسنّى لي أن أضمن بقائي إلى جنبك كل العمر، ولو في كهف، أثفل على العرش وأبصق على الدولة.

فقالت الملكة والبشر يطفح من محياها. اما بقيت فلذة من فؤادك مع هذه الفتاة الكهنوتية؟

— لم يبق معها من فؤادي إلاّ ومضات الشفقة عليها. مسكينة. خائبة الأملين.

— الأملين؟ ما هما؟

— نعم. أمل حبي لها وأملها بإنقاذي. أما استوعبتِ من مكان تجسسك علينا أنها اقترحت عليّ أن أدعي إني في بنطس باحثٌ عن حبيبة لاجئة، وإنها تؤيد دعواي؟ فخرجت يائسة حتى من هذا الأمل.

— ألا ترى اقتراحها وسيلة لائقة لانقاذك؟

— أيليق بأمير أن يسخّر قلب فتاة بسراب الأمل لانقاذ نفسه؟ أيليق بأمير الغرام أن يعلل فؤاد فتاة برجاء الحب الكاذب تذرعاً لنجاته؟ إذا أبيت اقتراح هذه الفتاة أفلا أصبح مديناً لها بعطفة قلب؟ أو لا تصبح هي شاعرة بهذا الدين وآملة بإستيفائه وإن كانت لا تطالب به؟ أو لا يتلطخ وشاح حبي لك ولو بنقطةٍ سوداء؟ وأخيراً كم يكون ثمنين أهلها ثقيلاً على عاتقي؟ ...

ونقر الباب فأسرع أفريدوس إلى حجرة السرّ

ففتحت الملكة الباب وإذا جورجيا تقول: رئيسة الكاهنات تطلب مقابلة جلالتك.

فارتبكت الملكة وقالت كأنها تكلم نفسها: ماذا تريد هذه الشيطانة الآن؟ ماذا في طيلسانها أو طي لسانها؟

فقالت جورجيا مضطربة أيضاً. تقول إن عندها بلاغاً من الهيكل مباشرة.

فجزعت الملكة ولم يسعها إلاّ أن تقول: سمعاً وطاعةً وخضوعاً للهيكل.

ولم تنتظر الكاهنة الإذن فدخلت وانحنت للملكة وقالت بصوت جهوري ضخم: الويل على الأبواب إذا لم تتداركه التضحية.

عند ذلك وقعت الملكة على المقعد منصعقة. وفي الحال خرجت رئيسة الكاهنات. وما لبث أفريدوس أن دخل من باب الحجرة السرية قلقاً مضطرباً.

— ٥ —

وجلس أفريدوس إلى جنب الملكة عاطفاً عليها ممسكاً بكفيها وقال : فديتك يا نعيمي السرمدي . (وبعد هنيهة قال) عسى أن تكوني قد اقتنعتِ إنه لم يبق لنا إلا الفرار الليلة من هذا القصر الى القصر الجاريجاري .

فتشددت الملكة قليلاً وقالت: الويل لي . كيف الفرار من الويل الذي أنذر به الهيكل؟ أما سمعتَ انذار رئيسة الكاهنات الأخير الآن ؟

— يا للسذاجة . أوَ ما سمعتِ خبر انيدون منذ برهة أن جيهول ابن رئيس كهنة جاريجاريا هو المدبر المكيدة بالتواطؤ مع الرئيسة .

— رئيسة الكاهنات لسان الهيكل . والهيكل مقام الإلـه . فهي تتكلم بلسان الإلـه . واشقوتاه !

فقال أفريدوس مقنِّعاً : إذا فررت معي خاب تدبير الكهنوت وأخفق انذار الهيكل وحبطت المكيدة على مدبريها . فلا بدَّ من تقرير الأمر الليلة وإلاّ فات كل تدبير .

فقالت الملكة يائسة : لو قبلت أنت اقتراح الفتاة أنيدون لنجوت بنفسك .

— لو شئت النجاة وحدي لما احتجت الى تدبير فتاة حتى ولا الى تدبير ملكة . ان قوائم جوادي الأربع تصل الى الحدود قبل بصرهِ . أستطيع أن أفرَّ في رائعة النهار . وأبرع فارسة عندك لا تستطيع أن تنال مني لمحة عين .

— لماذا لا تفرّ .

— عجباً . ألم تفهمي بعد إني لا أهتم بخطة تضمن سلامتي بل بالخطة التي تضمن سلامتك أولاً .

— دعني للقدر ولدهاء أمي

— لا أثق بالقدر ولا آمل بدهاء أمك بعد الذي ظهر من استنكارها لحبنا .

— لعلك تعذرها إذا علمت انك أمير جارجاريا الوارث عرشها

— حاذري أن تبوحي لها بهذا السر لئلاّ يشتد ايجاسها تخوّفاً على العرش الذي تنازلت عنه لكِ حذار . فهي الخصم الألد .

فقالت الملكة مستسلمة لليأس : إذن أنا أستسلم للظروف مهما كانت سيئة جزاءً لتورطي . فارحل أنت ولا تقاسي نقمة الآلهة . هي ويلات واقعة حتماً لا مفرّ لي منها لأن نبوءة الهيكل صادقة

— يا للسذاجة . ليس لعقل أن يرى حادثاً قبل وقوعه . فما نبوءة الهيكل إلاّ مكيدة

ضدك . فإذا فررت كذبت النبوءة وخابت المكيدة . وإذا بقيت هنا كنت أنت المتممة للنبوءة في نفسك. يستحيل أن أدعك للظروف

فقالت ملتمسة خيطاً من الأمل : إذن فماذا ؟

— عندي خطتان . ولك الخيار في إحداهما . إما أن أمضي الى ساحة الاعدام . وفيها تنزل ويلات هيكلكِ عليَّ وحدي وتسلمين بعرشك ولأمتك . أو أن تفري معي الليلة ويستحيل على أية قوة أن تنال منك . فاختاري إحدى الخطتين .

— لا هذه ولا تلك .

— فقال بحزم جازماً . إذن أنا اختار . أرجو أن تسكني في حجرتك الى أن تنسيك إياي ألاعيب الأقدار ومكايد الهيكل.

ثم هجم الى ناحية الخروج . ولكنها أسرعت وصدته صارخة : مكانك .

— دعيني أخرج . أوجستينا استبطأت الأمانة . والأمة تلحف بطلبها .

— لن تخرج . أنا الملكة صاحبة الأمر والنهي .

— الموت أعلى سلطاناً من سلطانك . وأمره فوق كل أمر . وهو يدعوني. واستبقائي هنا الى الغد أصبح قضاءً مبرماً على حياتك وعرشك، فدعيني أفتديهما .

تبسَّا له من افتداء يقض مضجعي . كل حياتي التي أصبحت مفعمة بؤساً . آمرك أن تمتطي جوادك في أول الليل وتقذف به إلى ما بعد الحدود . وهكذا نسلم كلانا .

— أنت ملكة وأنا ملك أيضاً . آمرك أن تمتطي مطهمك وتقذفي به أمام جوادي الى حيث عرش النعيم يتوقعك بذاهب الصبر .

— يتوقعني تمام نبوءة الهيكل .

— إذا أطعت أمري لاتتم نبوءة الهيكل، فان لي هيكلاً ينقذك من خرافة هيكلك .

— ويلي ماذا يكون بعدي ؟

— يالك من ساذجة . ألى الآن لم تدركي قيمة الخطة التي تسلم بها حياتك وحياتي، وتحصلين بها على عرش أمجد من عرشك وأسعد ؟

وفكرت الملكة مليًّا . ثم قالت . ويحي . وبماذا تقذفني ألسنة الأمازونيات بغير نعت الخائنة؟

— أجل ولكن قلوبهنَّ تصفك بنعت السعيدة . في الجهر يقلنَ تبًّا لها من خائنة، وفي اجتماعاتهنَّ السرية يقلنَ : هنيئاً لها بما يرشه اليها كيوبد من سهام لذات الحب

— يا لها من لذات لا تذوقها الأمازونيات الاَّ بالحلم

— أما أنت فتذوقينها باليقظة . يبقى العرش الجاريجاري متقلقلاً الى أن تستوي أنت عليه . والدولة تبقى قلقة الى أن تقبضي على صولجانها . هلمَّ انتقلي من هذا العرش المملوء من المخاوف والانذارات الى العرش المطمئن الوطيد .

— والشعب الجاريجاري ماذا يقول ؟

— يغتبط عظيم الاغتباط إذ يعد جلوسك على عرشه انتصاراً لالهه .

— ودسائس كهنتكم ؟

— تحبط لدى انتصار الهيم .

— وهل يجهل شعبك ماذا يكون حقد الأمازونيات وغضبهنَّ وهنَّ اللاواتي قد دوَّخنَ الأقطار وفتحنَ الأمصار .

— تنحل قوتهنَّ حالما يبرز كيوبد لهنَّ بسهامه

— ويحي من ينقذني من غضب اجكس وأرس العظيمين ؟

— لا يتجاوز غضبهما حدود بنطس . وسحر كيوبد يخبلهما ويشل عضلات الأمازونيات كما شل عضلاتك . فاعتنقي دين كيوبد فهو أقوى الآلهة وأوسعها سلطاناً وأفعلها سحراً وأمنحها للسعادة والهناء . هو اله جميع البشر . ابدلي الهاً بالهٍ وعرشاً بعرش وحياة سعادة بحياة بؤس .

— وأفقد عطف أمتي وحبها وأتعرض لحقدها .

— بل تكسبين عطف شعب آخر مع عطف أمتك التي ستتوسل بك الى اعتناق دين كيوبد والتمتع بنعمة الحب التي تجود بها يد الطبيعة .

— ويلي . وغضب كاهنات الهيكل ؟

— يبقى كالريح تصدم الصخر الجامد والصخر لا يكترث لأن الأمة تتمرد على الكاهنات اللواتي كنَّ عقبة في سبيل انصياعهنَّ الى صوت الطبيعة الموسيقي .

— يا لك من ساحر خالب تكاد تزين لي الفردوس في الفلك السابع .

— أجل إن ذلك الفردوس مفتوح الباب للترحاب بك يا حبيبتي . فلنمضِ اليه حالما ينسدل الظلام .

— ٦ —

في هـذه الساعة الحرجة نقر الباب ، فأجفلا وأسرع افريدوس الى الحجرة السرية . وتقدّمت الملـكة الى الباب ففتحته وإذا بأوجستينا فيـه . فقالت لها الملـكة بصوت متهدّج : ادخلي

ورأت أوجستينا محيّـا الملـكة متورّداً وعينيهـا مضطربتين كأنها كانت في معركة خصام حاد ولمـا تنتهِ بعد . فانحنت باحترام وارتباك فبادرتها الملكة : ما وراءك يا أوجستينا

فقالت متلعثمة : ورائي يا مولاتي أمة تطالبني بالأمانة التي ائتمنتك عليها .

فقالت الملـكة مرتعدة وجلةً : الأمانة ؟

نعم — الفتى المتنكر ذو العذار

فأجابت الملـكة متشددة : وما هو شأن الأمة ؟

— الأمة تنفذ الدسـتور يا مولاتي . وتريد أن ترى شريكة الفتى بالجريمة ، أو أن يقتل الفتى قصاصاً لجريمته .

— عجباً . هل انتقل حق الحكم من العرش الى سواد الأمة . ما هـذا التطاول من الأمة على ملـكتها ؟

— الأمة تخاف غضب الآلهة قبل غضب الملـكة .

— والملـكة حريصة على استرضاء الآلهة على الأمة . يجب أن تترك الأمة التدبير للملـكة ولسيدات الدولة . إذهبي وطمئني الأمة بهذا .

— لم يبقَ للأمة قياد يا مولاتي . فخبذا أن تشرفي أنت من قصرك وتلقي كلمة اطمئنان

ففكرت الملـكة قليلاً ولم ترَ مخرجاً من هـذا المأزق إلاّ بالوعد فقالت : سأفعل. أخرجي أنت سكني ثائر الأمة بهذا الوعد

وخرجت أوجستينا وبقيت الملـكة تحدث نفسها : ويلاه : الأزمة تشـتد . وهذه الخبيثـة أوجستينا تزيدها وقداً بلؤمها . لم يبقَ للتسويف نفع . يجب بت الأمر عاجلا قبل أن يحدث الـكسوف إن كان وقوعه مؤكداً . ويجب تدارك الويلين ولو بالتملص من سلطة الهيكل .

ثم فتحت الباب الأوسط المؤدي الى حجرة أمها . ونادت أمها . فلبّـت الأم في الحال فبادرتها قائلة ، أماه . في فمك فصل الخطاب إذا خففت من غلوائك ورجعت بتذكاراتك إلى أيام صباك أيام ثورة الطبيعة البشرية .

— لقد كنت في صباي أشد صلابة مني في شيخوختي العمياء . فلا تستنجدي بشيخوختي الهامدة . ولا تنتظري مني تحبيذاً لخطة خرقاء

فتنهّدت الملكة لشدّة غمها وقالت : لقد دبرت خطة أسلم بها وهي أن أترك أفريدوس لرحمة الهيكل لأن الكهنة يعطفون بعضهم على بعض . وإنما أود أن أمهد للأمر بالتشفع به لدى رئيسة الكاهنات أولاً .

— خطة لا بأس بها . ربما كانت أسلم عاقبة من أي خطة أخرى .

— ولكن الأمة ثائرة . وأود تهدئتها ريثما استرضي الهيكل على افريدوس . وأوجستينا تنصح لي أن أشرف على جمهرة الأمة من شرفة القصر وألقي فيها كلمة لتهدئة ثائرها . فماذا تكون الكلمة يا أمّاه ؟

— حاذري أن تشرفي على الأمة وهي متجمهرة ثائرة . لأن الجمهور مجنون فاقد العقل والاتزان . أرسلي حكمتك الى الأمة بلسان رئيسة حكومتك أمازونيا . ولتلقها أمازونيا باستخدام سلطتك الشرعية بتؤدةٍ وحكمة

— وماذا تكون كلمتي يا أماه ؟

— الوعد

— أي وعدٍ أستطيع تنفيذه

— الوعد الكاذب الذي لا تريدين أن تبرّي به يا ساذجة . وما هو إلاّ هدنة ريثما يسكن ثائر الأمة . لكي يتسنى لك أن تنفذي خطتك

— بأي وعدٍ كاذب أستطيع أن أملك هدنة اليوم فقط

— بوعد أن تسلمي الأمة غريمها لكي تفتك به .

— ويحي من وعدٍ يتزلزل به هيكل عظامي . أشكر رأيك يا أمّاه

— ولكنك لن تبري بالوعد . متى سكن ثائر الأمة نفكر بخطة .

وقادت الملكة امها إلى باب حجرتها وأدخلتها فيها . ثمّ استدعت جورجيا كاتبة أسرارها وأمرتها أن تستدعي أمازونيا رئيسة الحكومة

— ٧ —

وقبل أن تلبي أمازونيا الدعوة استدعت افريدوس من حجرة السر وقالت: لم يبقَ عندي من خطة إلاّ الفرار يا عزيزي . فلنستعدّ له حالما تفرقع المتجمهرات و نختلس الطريق في أول الليل

فابتهج افريدوس وقال مرحاً . لقد انتصر الحق على الباطل . كيوبد إلـه حق . إلـه الطبيعة الفياضة بالسعادة والهناء .

فقالت الملـكة . ولـكن الشمس ستنكسف قبل مجيء أول الليل وعندها يحل الويل فما التدبير .

— عندي التدبير . فمهلاً قليلاً

وعندئذٍ نقر الباب . فأسرع افريدوس الى حجرة السر . وأذنت الملـكة فدخلت جورجيا وقالت: إن السيدة أمازونيا جاءت من تلقاء نفسها

— فلتدخل

فدخلت أمازونيا وانحنت لجلالة الملـكة فبادرتها الملـكة بالسؤال : ما وراءَك ؟

— تحرَّج الأمر يا مولاتي لم يعـد في وسعي ضبط الأمن . الأمة ثائرة تريد القضاء على الخونة قبل أن تنزل ويلات غضب الإلـهين حين يقترن القمران .

فقالت الملـكة واجفة متظاهرة بالشجاعة . أبلغي الأمة أن غداً فصل الخطاب وفيه تنزل العقاب على الخونة . استعملي حكمتك في تهدئة خواطر الأمة وتبديد الجمهور

فانحنت أمازونيـا وقالت الأمر أمر مولاتي . سأرى ماذا في مقدوري أن أفعل. ليتني أنجح .

ثم خرجت أمازونيا . ودخل توًّا افريدوس وقال لقد أعددت المطهمين الأولين .

— لا نحتـاج الى شيء غيرهما . في الصبـاح نكون في قصر الحـدود وفي أول الليل نبرحه .

— لا تؤجل السير الى عاصمة جاريجاريا . لئلاَّ تدركنا مطارداتنا .

— لا يشعرنَ بفرارنا إلاَّ صباحاً . فلا خوف من مطاردتهنَّ لنا . أود أن أدخل جاريجاريا ليلاً بعد أن تكون قد سبقتني لاسترضاء أبيك .

— أبي يغتبط عظيم الاغتبـاط بقدومك، ويتنازل لي عن العرش حال وصولك لأنه يحسب قدومك انتصاراً لآلهه .

واسعادتاه إذا صح هذا الحلم . وداعاً يا بنطس .

— لا تودعيها فستعودين اليها مكرمةً محبوبة وملـكة .

— هلمَّ أعانقك عناق القران يا ينبوع السعادة والهنـاء . أظن يجب أن تبرح بنطس بأسرع ما يستطاع لئلاَّ يحدث الـكسوف ونحن هنا فتتم نبوءة الهيكل فيقع الويل .

فقهقه أفريدوس وقال: إن نبوءة هيكلك، ولو كسفت الشمس، خائبة. إذ لا صلة بين الكسوف

وحوادث الأرض . ما هذه النبوءات التي تصدر عن الهياكل إلاّ خداع للشعوب . أنا ابن كاهن وأعرف كيف أبي يؤثر على الشعب باصدار النبوءات . لا تعلقي أهمية على نبوءة هيكلك فما هي إلاّ قسم من الدسيسة المتبيّتة ضدك والمكيدة المنصوبة حولك .

عند ذلك نقر الباب . فأجفلت الملكة وقالت : داهية جديدة . أسرع الى كنّك

— ٨ —

ففتحت الباب الملكة واذا جورجيا تقول لها : رئيسة الكاهنات يا مولاتي :

فتجلدت الملكة وقالت : مرحباً بها . لا ريب إن الإلـه أوحى اليها إني في حاجة الى مقابلتها السعيدة . مقابلة موفقة بإذن الإلـه .

وما خرجت جورجيا حتى فتحت الملكة الباب الأوسط واستدعت أمها بسرعة . فحضرت وهمست لها : أظن أن الخطة موفقة جدًّا يا أماه لأن رئيسة الكاهنات قدمت من تلقاء نفسها كأن الآلهة أوحت لها خيراً .

فقالت الأم متململة : وقتنا الآلهة من مفاجآت كاهناتها . إني أتوقع شرًّا من هذه الخبيثة .

فقالت الملكة مضطربة شديد الاضطراب . أرجو أن تساعديني يا أماه في اقناعها بأن تأخذ أفريدوس غداً اليها لكي يقدم التوبة في الهيكل وتصفح الآلهة عنه .

فقالت الأم : تصفح الآلهة أو تنتقم سيان عندنا . يكفي أن نطهر العرش من هذا الرجس

وهنا : دخلت رئيسة الكاهنات .

— ٩ —

واستقبلت الملكة رئيسة الكاهنات بكل بشاشة وترحاب ، فانحنت الرئيسة قليلاً وقالت ، تحية لصاحبة الجلالة .

فقالت الأم . وسلام لقداسة سفيرة الهيكل المبجلة . لا ريب ان قدومك أيتها الموقرة بشير الرحمة . وبواسطة سموك يكف الآلهة عن الغضب وتوسلك يستدرك غضب الآلهة . قررنا ان نضع بين يديك وتحت رعايتك المعتقل المتنكر الذي لم يسفر التحقيق معه الاّ عن هوج وطيش . ولا غرض له سوى مشاهدة عاصمة الأمازونيات .

فأجابت الكاهنة وهي جامدة في مكانها لا تبدي حراكاً وقالت بصوت جهوري . فليحضر . فليحضر .

فقالت الملكة بتضرع . لقد ظهر يا ذات القداسة أنه من أسرة الكهنوت ولهذا يستحق عطفك .

فأجابت الكاهنة بصوت جهوري شديد . فليحضر حالاً .

فاستدعت الملكة افريدوس من حجرة السر . فدخل بثوب رجل وانحنى باحترام كلي واستدعت الكاهنة كاتبة سر الملكة جورجيا فحضرت وقالت لها . استدعي الكاهنة التي اصطحبتها معي

فما ترددت جورجيا في أن دعت الكاهنة التي كانت في معية رئيسة الكاهنات المطلوبة. فنزعت رئيسة الكاهنات الثوب عن الكاهنة المزيفة فبدا جيهول بزي كاهن بثوب أسود وعلى رأسه قلنسوة لاغطاء لها وإنما لها أربع زوايا

فانذعر افريدوس بعض الذعر . ولكنه تجلد وتشجع وأما الملكة فانذعرت وارتجفت ووجهت الكلام الى جيهول قائلة ، هل تعرف هذا المزعوم انه كاهن جاريجاري

فقال جيهول: كاهن جاريجاري ؟ ما هذا كاهناً . وإنما هو أمير جاريجاريا يا مولاتي.

فوجهت كلامها الى افريدوس : هل تنكر هذا الكلام ؟

فقال افريدوس بشدة بأس وقوة . لا لست كاهناً . أنا أمير جاريجاري وزوج ملكة بنطس الشرعي حسب شريعة كيوبد ـ الملكة التي ستتوج ملكة على جاريجاريا أيضاً .

فصرخت أم الملكة بملء شدقيها : ويلكما . ويلكما . انتما اخوان من بطن واحد وصلب واحد . سرٌّ لايدريه أحد سواي.

فقالت رئيسة الكاهنات . والويل يدريه أيضاً

ربما كانت الرئيسة لاتدريه وإنما ادعت هكذا لكي تتم النبوءة وتنتصر الرئيسة النصر المبين.

عند ذاك صرخت الملكة صرخة شديدة وانطرحت على ساعدي أمها : ويلاه. ويلاه ! الويل

وكان القمر قد شرع يتدرج ببطء على قرص الشمس وكاد يغطيه .

فقال افريدوس متداركاً . وماذا في الأمر . بعض أمراء الأمم يتزوجون اخواتهم وقد تزوج بعضهم اخواتهم كبطالسة مصر . وابن آدم تزوج بنت آدم . وبنت لوط تزوجت اباها ورزقت منه ولداً . . وهناك الف شاهد على زواج الاخوة والاخوات .

الأم . ويلكما . ليس لهم شريعة هيكل ينزل الويلات على الاخوين المقترنين

فقال أفريدوس . مع ذلك لا أصدق دعواك . فقد كنت معارضة زواجنا بكل شدة فانتحلت هذا السبب لكي تحولي دونه .

وقالت الرئيسة القمران يقترنان . انظروا الآن ... والويلان ينقضان .

من غرائب الاتفاق ان الكسوف حدث في تلك الساعة . فمن من الخرافيين لا يصدق ان نبوءة الهيكل تمت .

وصرخت الملكة صرخة تفجع وهي تنظر الى الشمس مكسوفة : الويل الويل الويل .

واستلت خنجرها بكل سرعة وطعنت به قلبها . وقعت صريعة .

في ابان هذا الويل دخلت أمازونيا ثم تبعتها جورجيا ثم أوجستينا ثم فلومينا وبعض حاشية الملكة . وجزعن من جراء هذه المأساة وانعقدت ألسنتهن عن الكلام . وأي كلام يطرأ عليهن . والأم تفجعت وصاحت بالويل والثبور الى أن قالت : يا لنقمة الآلهة فطالما حاولت أن أتدارك هذا الويل . ولكن مقدرتي خانتني .

وقالت الكاهنة بصوت جهوري : القمران يقترنان والويلان ينقضان .

وعندها تناول أفريدوس الخنجر من يد الملكة القتيلة وهزه وهو يقول بصوت جهوري بكل تأن . تبا للاله الذي يجعل شريعته فوق شريعة الطبيعة ، ويحسب الحب جريمة يعاقب عليها بالموت . فلسوف تمتص الطبيعة ذلك الإله كما يمتص الهواء الدخان والبخار . ولسوف تعاقب الأجيال القادمة خدمة ذلك الإله الجاحد الحق والطبيعة بالحديد والنار . معك يا زوجتي إلى عالم الحق والحقيقة . وهجراً لعالم الغباوة والضلال .

ثم طعن صدره وخر على رجلي الملكة قتيلاً

ثم قالت الكاهنة . القمران اقترنا . والويلان انقضا ونبوءة العرش صدقت . انظروا الشمس مكمدة .

وحينئذ تم كسوف الشمس وسكنت الطيور في أوجارها . والحيوانات لجأت إلى أوكارها . واضطرب الجو ونفخت الريح .

وقالت أمازونيا : لقد انتصر إجكس وإرس على كيوبد وسلم عرش بنطس وحفظ استقلال مملكة الأمازون .

وقالت الكاهنة : تولي يا أمازونيا عرش بنطس فأنت أولى من يتولاه الآن .

وقالت أوجستينا : إذا لم ترث يمين كيوبد سهاماً فلا يبقى ذكور ولا أناث ولا بطون.

(تمت)

تمثيلية

ألفت هذه الرواية تمثيلية . فيمكن ردها تمثيلية بكل سهولة . الفصول الخمسة فصولها . وأرقام النبذ مناظرها . ولا موجب لتعديل شيء فيها

للمؤلف

مؤلفات علمية

هندسة الكون حسب ناموس النسبية Relativity
فلسفة التفاحة أو جاذبية نيوتن
Newton's Gravitation
عالم الذرة أو الطاقة الذرية Atomic Energy
علم أدب النفس Ethics
علم الاجتماع (جزآن) Sosciology

مؤلفات اخلاقية واجتماعية

الاشتراكية
الحب والزواج
ذكراً وأنثى خلقهم
مناهج الحياة
شعوب أوربا (مترجمة)
تاريخ أساس الشرائع الانكليزية (ترجمة)

روايات الاتحاد العربي

فرعونة العرب عند الترك
جمعية اخوان العهد
وداعاً أيها الشرق

روايات مختلفة

المقدس (ممتازة)
ثورة في جهنم
حواء الجديدة (طبعة ثالثة)
آدم الجديد
الصديق المجهول
الحقيبة الزرقاء
عين بعين
سرار مصر
العالم الجديد
نبية لبنان
حركات السيدات في الانتخابات، أو اي هو ابني
ثورة عواطف
من عرابي الى زغلول
فاتنة الامبراطور
زغلولات مصر
أين الكنز يا شرلوك هولمز (مترجمة)
الامبراطورة تيودورة (نشرت في هلال يناير سنة ١٩٤٤)
دولة سيدات في مملكة نساء

روايات نشرت في اللطائف المصورة

المنطاد المنتقم
زغلول مصر
زغاليل مصر
فتاة آل عثمان
تحت راية مصطفى كمال
فتاة الاناضول وانهزام اليونانيين

روايات مترجمة نشرت في مسامرات الشعب

حب في ثورة (الاصل لديماس)
عقد الملكة (جزآن) »
الزهرة الحمراء (الاصل للبارونة اورزي)
الحرب الجوية
الغرب (بتصرف)
زوجة بالاسم
١١ مجلداً من مجلة النساء والرجال

١٣ علم واجتماع
٣٤ روايات
٤٧
لم يطبع بعد

كتب للمؤلف معدة للطبع

فلسفة الوجود
الديمقراطية — مسيرها ومصيرها
اسحق نيوتن
العزلة في رأس الجبل (مناقشات أخلاقية)
ليت الشباب يعود (فلسفات في قصة)

خالد بن الوليد : تمثيلية أو رواية
الحب الذهبي: « « «
الكنز القيصري أو دوقة في مصر : رواية
سر الكنز : رواية

DATE DUE

SAFETY L.B.
31 MAY 2018
Circulation Dept. A

الحداد ،نقولا
دولة سيدات في مملكة نساء
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01037741

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الأميركية في بيروت

General Library

892.78
Ha2818dA
c.1